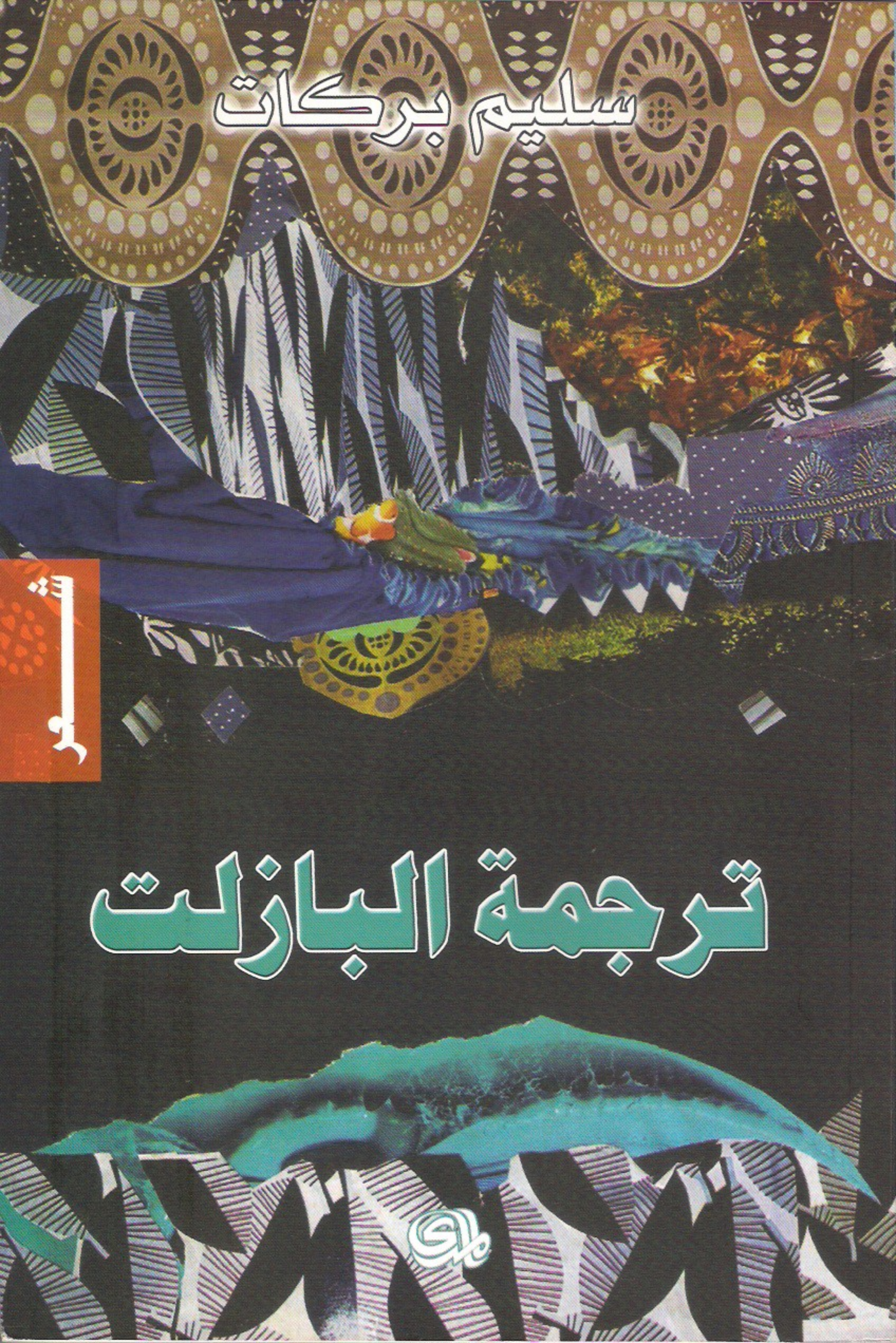

سليم بركات
ترجمة البازلت




المـــــؤلـــــف : سليم بركات
عنوان الكتـــاب : ترجمة البازلت
الـنـاشـــــــــر : المدى
الطبـعـة الأولى : ٢٠٠٩


**Author: Salim Barakat**
**Title: Translation of the Basilt**
**Al- Mada P.C.**
**First Edition : 2009**


**دار المدى للثقافة والنشر**

**سورية** - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

***Al Mada*** Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

**بيروت**-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

**بغداد**- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
E-mail:almada112@yahoo.com

سليم بركات

# ترجمة البازلت

شعر



# ترجمة البازلت

هكذا، أخيراً، ذاتُها: المتاهةُ باعتدالٍ في الموت.
هكذا، ذاتُه، الأنينُ رتيباً، والحياةُ باعتدالٍ كخُلُقِ الرمال في المضائقِ الصُّور:
فليُعِدُّ من ظلال التَّنُّوب حساءً، ومن قَلَق البتولا رغيفَ الغريب.
فليُصْلحوا المغيبَ البالي برجاءٍ من إرث العصيان، على شفير الوجود هنا ـ شفير قلوبهم، كي يتهيَّأوا ثانيةً للسِّيَر تُروى في الصدْع القدُّوس من الغيب إلى الغيب، وهم يمرِّغون السماءَ في الإنشاد الماجن للرماد:
لقد كُسرتِ المطارقُ في أيدي المذهولِيْنَ ـ أمثالهم، مُذْ ضيَّعوا اليابسةَ في عبورَهم حقلَ القيقَب إلى التيه مِحَاضاً كَفَلاتٍ، وضيَّعوا المياه.

هكذا، ذاتُه، الإرثُ ـ كلبُ الجوهر، وسنانيرُه الضالة في ازدحام الحقائق بهريرها، ومواثها، مُذْ أعادوا ثيابَ المذبوحيْنَ مطويَّةً إلى خزائن آبائهم، وأروهم أكواخَ الملائك مائلةً على ضفاف الموحش. أمْ عليهم، همُ المعتدلون كهتْك، أن يرمِّموا الريحَ؟. جرارٌ كثيرةٌ. مداخنُ كثيرة. كَيْلٌ للوقت، حفنةً حفنةً، بيديِّ المُحْتَضَر. مجازرُ أكثر اتساعاً من قلب النائم. هم المعتدلون كأدب الجوع، عليهم إيجازُ الأكيد فتوقاً في الدرعِ الكونِ؛ عليهم أن يرتِّبوا الصباحَ شراباً للنهايةِ ـ طفلتهم المنتظرةِ قُبلةَ الصباحِ. أمْ لاعليهم؟. الحظوظُ تتساهلُ حرماناً بعد آخر، في المكان طليقاً؛ في المكان عبوراً بالمكان أشلاءَ إلى الأغاني. مأخوذيْنَ بالنقصان النبيل، وبالنُّظُم محلولةً نهاياتٍ ذهباً، يبدِّلونها هكذا، أخيراً، هذه المدائحَ، التي تطحن البقاءَ في أجران الفردوس كَحَبِّ القَرَظ.

# لاممتنِّيْنَ للعبث،

لاجاحديْنَ براعاتهِ إذْ يُقرِّعُ الرعدَ كي يُقرِّعَ الرعدُ أباهُ الصدى.

عادليْنَ يجيزون العبورَ بغفران القُبل للشفاه، وبالحياة أقصرَ من ثوب إلى شركائهم المستنكفيْنَ عن مجاراة الأفلاك مُذْ خُذلوا في كلِّ بُعْدٍ، لايتعلَّلون، ولايُعلِّلون. سيَّان إنِ انتدبهم الغدُ على أثاث الآلهة الحُوْشيَّة، أو رُهِنوا أقفالاً في يديِّ النهاية على باب المُلْغِز الأصل. هُم كراديسُ الأليف متشقِّقةً، يُحمِّلون الجهاتِ معاصرَ جدالاً بألسنة الأبواب تصْطَفق خلف المحروريْن. هم هناك في المسالخ الفَلَكِ يستطلعون حياةً مؤجَّلةً إلى الغد؛ مؤجَّلةً غداً بعد آخر إلى غدٍ بعد آخر. يستطلعون حياةً لم تكن إلاَّ مالا تعرف حياةٌ عن نفْسها، في الفجر المائيِّ، تحت الشمسِ الماءِ. هم هنا، شركاءُ في اللُّبْس، متَّزنون كالخطأ. والسماءُ هنا، مذعورةً تتشبث بالأثلام في الكلمات.

أرْخوا ستائرَ بيوتهم المهجورةِ هناك على هضبة «حِلْكو»، وناموا قرب عشبة الدَّلْبوث، التي لن تموت إلاَّ معهم.

نبشوا الهضبةَ طويلاً، باندفاعة جراحهم القوية من أرض «سْكُوْغُوْسْ» إلى الهواء المتشرِّد في نسيانهم.

نبشوا الأُسُسَ الخضراء غوْصاً على ندْب الحريقِ الحريقَ ـ أنفُسَهم، لأنهم سيموتون، إذْ يموتون، في شِباك الشقائق، التي لن تستعير أسماء الموتى للحقول، على فرسخ من تخوم المخلوقات الآجريةِ ممتلئةً بصدى الآلهة المهشمة في التورياتّ كلِّها. لم يمروا بمدارس «كِيْبُوْرْ» ـ مدارسِ التجسيم الشقيِّ للخمول حجراً، كي يتعرَّفوا إلى المجهولِ اقتباساً من تصانيف أخيه اللون، بل بالمدارس المفقودة ـ حُظُوات الكائن بلا أمل في جَمال يتضوَّر أملاً كمُلْهِمه اليأس: «ياالجَمالُ الحزبُ يكيلُ التعبَ أُمَّةً أُمةَ بمكيال معقولهِ»، نادوا في اقترابهم من رمال «قَرَهْ قُوْمْ»، المنتشرة على ثُدِيِّ السماء الخمسة.» يانمرَ رمال قرهْ قوْمْ، أعْطِنا عيونَ أسلافك الحَوْصاءَ»، كأنهم يتأملون، من مَدْرج الهيولى بين أشداق الجوهر، ذلك النمرَ الأبيض في ثلوج «بُوْتَانْ» ـ نمرَ الجليد ذا الذيل الأصفر تتأمَّله القنائصُ من أكنانها في حظوظ الريح المتدرِّجة احتراساً. هُمْ متدرِّجون من مجهولهم العِلْم إلى البلوراتِ ـ أصداءِ الشكل، يكاد الخطأ، رقيقاً كإناء، أن يمتَلئ بصوابهم ـ صواب الفتنة، التي لاتُلْمس إلاَّ بلسان المَتشرِّد. وهم، في التدرُّج العذْبِ، المقلِّدِ، شقيقِ الجبل، قتلى سلامٍ مُرْهَق؛ قتلى رَخاء الليل، المتهدل

على حبال غسيلهم الطويلة كإعتراف الموتِ بمآزقه. متدرِّجون رغوةً في الأقداح من جعة الأرزِّ القَوية. لايأبهون لِمَا يُنْتَش رَشَماً بسقاية النار، أو يُنْتَشُ من بزرة البياض بصبر الجليد: لقد وسموا الكيفياتِ بالرَّوْشَم على زهر الباقلا، ووزَّعوا الأبديةَ حدواتٍ؛ وزعوا الرؤى آثاراً من أظلاف التَّيتل على نُعاس القِدَم. وهاهم يأخذون بيديِّ المرئيِّ الضرير إلى أُمِّه، مُدرِّبيْن الزيتَ على فكاهات الماء، والجوزَ على فطنة النعاس ـ الأبِ، لأنهم وَسْمُ الكيفيات؛ الإرادةُ كازدراءٍ تتماوجُ في الخفْق قوَياً من حَواشِي المعاطف القوية، ويعرفون كيف يُقوَّضُ المُشْكلُ كي يبتكرَ المعقولَ مُخْتزَلاً في دُغْسوقةٍ عيناء.

أنهوا، قبل قليل، حساءً من أعشاس الخُطاف، غمَّسوا فيه رقائقَ القَدَر محمَّصةً.

أنهوا استرخاءَهمُ ـ استرخاءَ اللانهائيِّ مسْتنداً بظهره إلى شجرة الكُنْدُر، مُلْقينَ بنَوء الحظوظ إلى الخافياء ـ إخوانهم المُدَخَّنينَ، كأسماك القُدِّ، بنشارة السَّدر المحترقة. نهضوا واقفين يختبرون البحرَ، عشواءَ، ببصر القياس المعذَّب (أعداؤهم يأتون، أبداً، من جهة البحر). فصَّلوا البرَّ حذاءً لعبور الممرَّات الخشنة في سماء «مُوزانْ»، ـ المنتزَهِ الأخير للتماثيل. جدلوا البرَّ سوطاً لحثِّ الأفيال الأزلية على عبور الممراتِ المياه في أقاليم «تِيْغْرِي» ـ المنتزهاتِ الأخيرة للأسلاف المنكسرين. عَمْداً، يختبرون الأرضَ، كلَّها، عشواءَ، ببصر المَلل، وكذا النهائيَّ، والآلهةَ متدثرةً بفراءِ المصائر الآدمية. في مَللٍ يقدِّمون اعتذارهم إلى المشيئات المُبْرَمة على عَجَلٍ. يقدِّمون، بصبْر الهيولى، اعتذارَهم للعَدَم على النحيب، الذي كلَّفوه. وهم مزمعون، بقُربى الحجريِّ في نَسَبهم خالصاً، على ترميم مداخن الأعماق في مياه «الخابور» ـ النهرِ الإمام غائباً بذهوله من العنادل الأثير، والغناء المالح لصخور «أورانْتيسْ»، مستأذنين الظلامَ المروَّضَ بسَوط أخيه الظلام الجَبَّار، أن يَقيَهم فوضى الشمس، في عبوره بهم محمولِيْن على دلافينهَ العمياء إلى الأعماق كلِّها.

يبعثرون أصدافَ «لاميْنَا» ـ التمثالِ ابن العرْق القشريِّ.

يقتطفون، كفُطر الغراب، الينابيعَ المتصبِّبَةَ ياقوتاً من مسامِّ أرَقها، ويمازحون الوقتَ المُخْتَتِنَ بمِشْقص الأناشيد، إذ يغسلون أيديهم، بعد المأدبة التاسعة، بزيت من زيتون «نيقيا».

هم متساهلون في تعديل الفجر على الدخائل؛

متساهلون في مقايضاتهم الفراديسَ بنسيج من حرير الرعد. وواثقون: لاأعداءَ لهم بقَدْر مالايطيقُ الأصدقاءُ أن يظلوا أصدقاءً إلى مالايُطاق. لعلَّهم أحصوا، باحتراسِ الليليِّ، جرْحَ كل مكانٍ؛ جرحَ البصر يحيط بالأزرق الخيانةِ ـ حلْمَ الأرض بغضبٍ لن يكونَ، فاستثاروا عقولاً كثيرةً كالبابونج تتزاحَم في خلاءِ المعْقول هاذيةً بنشيدها المُرْتَجل، أو خَلِصوا أنْ لاأمومةَ لطَبْعٍ؛ لاأمومةَ للفتك المُحْيي؛ لاأمومة: بذخٌ معتكِرٌ كمزاج اللون يلقِّم صقورَه مِزقاً من كبد الموصوفِ ـ إلهِ المهجورات.

لن ينعَم غضبٌ بألقِ الغضب إن لم يكن نَسَّاخ عقودهم، الملآى بأمثالِ مزبدةِ الأشداقَ تكلِّم الراحليْنَ، في فتور، من الموت إلى مشاغلَهم ذاتها بعد الموت. أحذيتهم الرمادُ. ساعاتهم ـ ساعاتُ الزئبق. موَّلوا الندَمَ بمالٍ من متاع الخريف. أجُراءٌ في الفلك الثاني. طرَّازو غمامٍ بأزرارٍ من لهاثْ الغابات. وقلَّما أسرفوا في التدليس على الشواطئ بأشعارِ السُّفن، إذْ ترسو بالمحظيات؛ بالأكيد الممزَّق كخصيةٍ بعد السبعةِ الأيامِ تتالتْ بموتٍ واحد. لكنهم لا يُعفَون

الأشباحَ من المُكُوس إنْ عبروا خلجانهم. هكذا هُمْ، في الرَّحْب الجليل بلا منعطفاتٍ، أو وهادٍ، أو حَدَباتٍ، أو أثناء؛ هكذا هم في الأرض المفلَّعة شواهقَ وصدوعاً، مُذ استنسخوا النقوشَ كلَّها بصَلَفِ الماء، ووزَّعوا الثقلَ المعتدل أعشاراً على الجهاتِ ـ التخمين. لايُعاب ولاؤهم للرمادِ الأب. إنْ تبَجَّحوا بمكانٍ لايُصدَّقُ برهانُه كمكانٍ تبجَّحَ الأرقُ ـ ربيبُ الماسِ بحياده. يتشاجرون والدراقَ على نعاسٍ غدهم المُتعبِ في حلم كلِّ فاكهةٍ. احْذَرُوْهم في الحقائق الأقداحِ مقضومةً من حوافها. احذَرُوهم: عذَّبوا العافيةَ، بنقاء العافيةَ، ونكَّلوا بالأثير. وهاهم يُسلِّفون الموتَ دراهمَ الموتِ مقترَضةً من خزْنَةِ الأجساد، وينقلون الأزلَ لبنةً لَبنةً إلى أسوار حظائرهم ـ حظائر كلاب الثلج المدلَّلةِ كنبوءاتٍ. معذورونَ، احْذروهم مُذ تيقَّنوا:

مباضعُ أشكالٌ تشقُّ صِفاقَ الصِّور بيَدِ الله المرتعشة.

لاتستنطقوهم. احذروا. تتقوَّض في كلماتهم الأعرافُ الصلصالُ. الفضِّيون، أولاء؛ تبعاتُ الفضيِّ؛ الدسمُ خفيفاً؛ الظلامُ الفضيُّ، والرؤى المياه؛ أولاء، يسهرون في الياقوت ليُغْمى على حلمهم أصفرَ متكتِّماً بلسان الليل. لم يألفوا السجالَ الساحر في مآدب المرتدِّيْنَ عن أُخوَّة النفائس. يصحِّفون المأهولَ ببشرى الموحش. لايُمهلون في كثيب، ويجزمون أنْ مُضَاغٌ مايتَّفق للظلِّ شكلاً في مشادَّاتَ النور. مصادَفةٌ أنْ يُعقَلَ مايُعْقَل، لذا يتريثون في أخذ النار على محْمَلها. وهم الآن، في البرهة المنقسمة على خيال الوقت، يذوِّبون الْلُغزَ في أقداحهم كالسُّكَّر، ويرتشفون الخارقَ، على مهل، من فجرهم المنزلقِ على الشفراتِ، حتى الظهيرةِ المعتذرةِ عن جَمْع المذابح أنيسُوناً في أقداحهم الأخرى.

مُشْكلٌ هُمْ فيه مُشْكِلٌ بُستانٌ؛

ومُعْضِلٌ هُمُوْهُ معضِلُ الغريبِ الخافضِ للأنساق العالية.

بريئون كما كون.

بريئون كالأثقالِ.

أعدُّوا للكمالِ طحينَ الذُّرة، ولأسراهُ البندقَ مخزوناً من قطاف مواسمه المتأخرة.

وهم أبعادٌ سبعةٌ في هندسة الموت، مُذْ كانوا مجامعَ الحظوظ في زوايا القباب قوساً بعد قوسٍ.

مَهَلُ الواثق من فواتِ الأوان مَهَلُ التراب في حدائقهم. لاقيامةَ هنا ـ يقولون. لاقيامةَ هناك. ماءٌ جرحٌ. مأسَوةٌ ناجحة بعذابها. حقدٌ متألِّقٌ ببرَكةِ اللحم ممزَّقاً في خلواتِ المحظوظين. فريدٌ يسرقُ العَلَفَ لنِعاجه من مزاود العاديِّ المستهتر بعزائم النقوش على الأصفان. عزلةٌ للنار كقَسَم الماء. عجينٌ بلا رَوبةٍ أَلَمَاً يُرقِّقُ فوق ألواحِ الفرَّانين. وربَّما أَلْحوا إلى النَقاءِ مُجفَّفاً بنكهة البرقوقة المجفَّفة. لن يدقِّقوا في أفواههم. لن يدقِّقوا في العصيانِ الأنقى ـ مهنة الغبار. تعبوا أنْ يحبُّوا. تعبوا من أملهم ويأسهم. تعبوا من بقائهم معذِرةً لاتُؤخذ على مَحْمَلها. سئموا البطولةَ تريهم المعقولَ رِخواً كالأسْروع. أُبيْدُوا فعادوا من حَدْس الضباب في الجبل. وماحملوه من متاع حيٍّ، في العودة، لم يولد من ماءٍ، بل من هَمِّ الحجر متشبثاً، في لوعته، بالسماءِ الفاترة. أُبيدوا فاسترجعوا افتتانَ المُعْضِل، وغرفوا، ملءَ راحاتهم، وَهْمَ ورقة العَفْص ـ وَهْمَ الجهاتِ أنها دَيْنُ الغضب. ثابتون في الوقت بلا مكانٍ. يقينٌ مُهْمَلٌ ينجزُ الصفقةَ بينهم وبين الوجود. طويلاً تمددوا، بارتخاءٍ كالعنب، على ضفاف المياه كلِّها: نساءٌ سودٌ ـ أرخبيلاتٌ في خليج «ثيرو». لم يتمكنوا من تحديد مايرون. نساءٌ سودٌ ـ خلجانٌ من الظلال المُعْتَصَرة يواقيتَ سوداء كمُسارات الهيولى. ويزعمون: آلهةٌ واشيةٌ تتدبَّر الممكناتِ. أطيافٌ جليدٌ تحاكي الملوكَ ببلاغةٍ من صراخ القُطْرب، في المُحْكم بياضاً بفورةِ الجِيْر ـ العقل. لاموتى ينزلون عن شجرة الكستنةِ. لاموتى يقشِّرون الهواءَ عن البَندقة الماكرةِ، مُذْ

تحصَّنوا بمكائد الحياةِ في تلفيق الصورِ طَعْماً كالرِّبا. يزعمون: أسواقٌ تتنهَّد بإصغاءِ الباعة إلى شؤون الكرُنْبِ. مزادٌ مُرْبكٌ على خيال الهَليونِ في أروقة أبوَّتهم - أبوَّةِ الحقل المتشكِّك في إخلاص بناته لأزواجهنَّ الهواءِ.

على رِسْلهم.
هُمْ أبداً على رِسْلهم،
يؤيِّدون اعتصامَ الأقدار خروجاً على شَرْعها،
بنباهة كنباهةِ المستسلم الرَّهيْن.

كثيرٌ يستميلهم بالقليَل من أدَبهِ. أشأنٌ هُمْ؟. شأنُ مايتجرَّدُ من عَذْلهِ ـ يُحْسَبون. غَرَقٌ فيروزةٌ في عقد الماءِ. هزائمُ مرضِعاتٍ حيَارى من كثرة ماأرضعْنَ المنتصريْنَ غرْقى من كثرة الحياة. يالريبةِ النَّحل يراهم حاملين مئبرَ السَّداة في كل زهرةٍ إلى المدقَّة بأيديهم، اخلاصاً للزنابق البيغاوات، دافعيْن أمامهم، على سِكَكِ الليل، حميراً ماءً محشوَّةَ البرادع ببُصيلات الحدائق الفلكية. جحودُهم الأثرَ جحودُ الورديِّ. على رِسْلهم. دعوهم على رسْلهم ـ رِسْلِ الورديِّ. دعوهم شارديْن على ضفة النهر المُستعاد من ضياع الضفاف، بأثقالِ هَمْسِهم: «أرِنا، أيها الخابور بكاءَ شقيقاتك ممزَّقات الشفاه من لَكْمِ الشروق الهجين، وصَفعِ المغيب ابنِ القحبةِ».

كان لآبائهم شرودُ المواسم عن سهول: «كِيْشتَكْ» ـ القبابِ الغمام مُرَصَّعةً بعيونٍ حصىً من نقش زهرة الثالوث. لم يكلِّموا أحداً عن شقاءِ المعقولِ ـ رديفِ الحركةَ في زعانف سمكةِ موسى. لم يصرِّحوا بالفراسخ الأربعة؛ التسعةِ، من أزلهم باقيةً شروداً عن سهول «معيْريْكا». كانوا آباءً. كانوا أبديةً في شمع العسل مُذاباً تمهرُهُ أختامُ العِلَلَ على رسائلها، أنقياءَ كشتائم النيلوفر ـ ابنةِ الإرادةِ الرقيقة

للشِّفافات العمياء مهتديةً بعصا المائيِّ. آباءٌ، في رماد فجرهم بَيْضُ تنينِ البحر ملتصقاً بالمجرَّاتِ ـ غلاصم النشأة. هاهم يعتذرون عن آبائهم إلى الشهب ـ دجاجاتِ الله في الحَقلِ المبعثَرِ على لوحه المكسور شظايا فراغاً مرآةً كقهقهة المرئيِّ، منتشرِيْنَ سرايا حول صفوف الآلهة على المداخل إلى إفطار يهيئه الأقوياءُ للمشرَّديْنَ. لقد كوفئوا بالنقائضِ تتَّضحُ مشوراتٍ من عبثِ الجَمَال بالحريق. كوفئوا بآبائهم الحدواتِ الرَّجَز، والحدواتِ الأناشيدِ على مسمع الجياد تجرفُ موائدَ الخَلْقِ في ذُعرها. هاهم نُفاثاتُ النحاس؛ كفاحُ البَلَلِ عن بلَلهِ؛ المتوارون في الذات المنكشفةِ على قَدْرِ المَلَلِ السَّيد.

هاهم:

عجلاتٌ على المُنحَدَر.

قلوبٌ عجلاتٌ على المنحَدَر.

دخانٌ يُمعن تدويناً في خيبة الجمرِ، ذي الوساوسِ المائية.

هاهم
كلَّما اقتربوا من أزل أبكوه.
كلَّما اعتدلوا أنَّقوا المُذْهلَ العاصف.
يأكلون الوسائدَ في طريقهم إلى النوم.
يأكلون الفُرُشَ، والألحفةَ، والأسِرَّةَ بتمام مساندها وقوائمها النحاس.
يأكلَون النومَ في طريقهم إلى النوم أحلاماً عَصَباً، وغضاريفَ، وجياداً بسروجها وحدواتها.
يلتهمون مَهَجعَ السحيقِ في الكون.

يقلِّدون المتاهاتِ في شهيقها،

ويخلطون طحينَ المرئيِّ ببُرادة الرصاص، في الهياج الكبير، حيث يقتلع الغيمُ البستانيُّ السماءَ المعرِّشةَ عشواءَ على سياج حدائقه، وتتدافعُ خلائقُ الغسق المهذبةُ بنقائها الموحش؛ الطعينةُ، الموحشةُ. راقَ للندم ـ يعترفون ـ ماراقَ لجمادٍ في فخره: «أعِنَّا، أيها الغضبُ». أعِنْهُم أيها الغضبُ أن يستريحوا في حدائقك. أعينيهم أيتها القيامةُ المنحسرةُ عن نبيِّيها المحتضَريْنَ. أعِنْهم أيها الندم على ثأرك من اليقين. بذْخٌ كالألم مشدوداً في وتر العزلة سيرمي بهم إجاصةَ النُّور الفجَّة، وهم يمضغون أكمامَهم غيظاً؛ يمضغون غيظَهم مُملَّحاً بشتائم الحقائق للحقائق. عشَّاقٌ من رصانة الفَرْق في طيش المتجانس. قُرَناءُ الثغراتِ في الماس. أَحبُّوا. أَحبُّوا مرَّةً. نقلوا النساءَ من زهرِ البقول إلى الرهانِ العشبيِّ، وأعطوا الفُروجَ عهداً من بأسِ المشَّائين. سيقبِّلون بغضِّ الندى في صباح عاثر الحظِّ. سيُقبِّلونَ البُرَى في خنَّابات الأنوف. سيقبِّلون النَّمَشَ مُسْتعِراً دلالاً على قصبات الأنوف. متمهِّلون. يصفُون الحصاةَ عصراً بعد عصْر. يصفون القطرةَ ذاتها متدحرجةً عذراءَ عن ورقة النجم. يصِفونَ المعقولَ جُرحاً تحت ثدي العاشقة؛ الأَمَمَ نقاباً أزرقَ؛ الدَّيْنَ الذي لن يحتملوه؛ المُرَّ مغسولاً بعذابِ السُّكَّريِّ؛ الخزائنَ بأقفالٍ من ثرثرات التوت؛ المعاني ـ يصِفونها ـ عَناقَ اليائس لأبيه اليائس. لااعتدالَ في اقتسام الوصفِ صفاتِهِ بين خرابٍ وآخر. يصفون الآلهةَ المِزَّةَ ذَوْباً

من خيال العنب، والملائكَ تَعَباً. لااعتدالَ في وصفهم المأزقَ الرّاَوية سِيَرَ الأملِ المأزق. يصفون الزمنَ فَتْقاً في الثوب؛ الثوابَ النكسةَ؛ الخلودَ شُوَاءً بحطب السِّدْرة الرطب. أعينوهم أنْ يختزلوا. يصفون. أعينوهم بالغضب المُرْضع جراءَ الغيبوبات كلِّها. يصفون الغضبَ الشُّونيزَ على الأرغفة. يصفون الأعذارَ كقفزاتِ الهارب. يصفون الأفقَ جباناً بخيالٍ من جسارة الشجاع. لارهانَ عليهم. لارهان على غيرهم المعصوميْن يمزِّقون صحائفَ الرِّهْنامَج على لسان المياه. لكنهم يوصفونَ شكوىً ناضجةً. يوصفون كما يصفون، فمَنْ أثقل عليهم الصباحاتِ متشقِّقةً مِنْ حَنَق الماء على الماء؟ مَنْ ردَّهم عن الأسرَّة متوثِّبةً بلهاثِ اللذائذ كي يتدبَّروا للأسلاف الحجَّاميْنَ غَدْرَ الأَسلاف بالحظوظ الحجرية؟ مَنْ استوقَدَهم حرائقَ الشكل، وبَّرأَ الحياةَ في أَرَقِهم من شُبهاتِ أكيدِها؟ أذيقوهم مايُذيقونكم من عار الورد في احتسابه الحدائقَ رَعاعاً، فقد أساءوا، مراراً، إلى الليل بتحريضهم الليلَ على الجُسور. قطَّعوا الليلَ شرائحَ قديْداً يتذوَّقُها النهارُ باردةً بمزاج النبيذ الزهريِّ على لسانه. قطَّعوا السماءَ البصلَ؛ الأفلاكَ البصلَ؛ الجهاتِ التسعَ البصلَ ملتوتَةً في زيت البطريق. لايتركون شيئاً لايقطعونه في استعادتهم مذاقَ المُجْتَزَإ الأصلِ من عافيةِ اعتلاله كُليًّا كبوح الزئبق ـ زئير اللَّدائن. لايرتدعونَ عن جرحٍ. يلفِّقون والماسَ كَذباً أنيقاً على الياقوت، في العبور اللَّمْح للوجُّوه إلى شحوب الكون. اعْذروهم، أو خذوهم بأحوالِ النُّظُم عابثةً بالنُّظُم في اختلال الوقت.

لقد مكَّنوا الصُّورَ من خيالِ الذهب،

وأناطوا بالذهبِ اختلاقَ أكاذيبهِ الرقيقةِ للنقوش على فراغِ الصُّور.

لقد دوَّنوا مَصَارعَ الأرخبيلات السفلى، وأحصوا بريدَ الطِّباع.

لقد ألزموا اليقينَ وَرَعَ الحصى، كشُرَّاحٍ لهوانِ القِدَم وللغبار الأُحْكُومة.

لقد أغلظوا في شتائمهم للهضبات، وللسهول، وللأودية، بلا سبب، هكذا، لأنهم يشكُّون أنْ لن تُؤَوَّلَ الكنوزُ على محملها من أدبٍ الظاهر.

رُماةُ عوالم في خنادق الهيولى. أكثروا من كَسْر البندق، وأفرطوا في القُبَل على مرمىً من الغرقى في القُبل. كلُّهم جمجماتُ عظام موثَّقةٌ بآياتِ اللَّحم؛ عناقٌ قِرْفةٌ؛ خذلانُ الكمأ للبروق. كلُّهم أحوالٌ أشرِعةٌ، وأطوارٌ يتعهَّد فيها الغبارُ للريح إعفاءَ نقوشها من لومه. كلُّهم احتدامُ الأحماض؛ ذرائعُ من منطق البلور؛ نَقْلٌ عن نَقْلٍ؛ كأنهم، بمشيئة العار الحالم، يتقدَّمون الشهوات إلى الله مَشْياً في أخدودِ «تاييْسْ» ـ أبِ الجفافِ الأول. كأنهم يُمْهلون العارَ ساعاتهم السبعَ الأخيرة كي يعمِّم نداءَ الرقم التاسعِ، ذي الحلقات الخَمْس المهشمةِ في خنادق الرقم.

على صخرةٍ، في تمام النبوءة دورةً من عبث المخالب القمرية بالكُرة الوسطى، تمدَّدوا بوجوهٍ إلى أقفال الأفق المطليِّ بالثُّكْلِ: مامِنْ ألَقٍ سيردِّد السكونَ، الذي اعتصروه نقياً من عَذْلِ الصوت. هكذا، على الصخرة ذاتها ـ صخرةِ الطليقِ الماجنِ سيتمدَّدون، أبداً مطحوناً بعد أزلٍ مَطحون ، بوجوهٍ إلى السماء السفلى، حيث أخفوا في الرمالِ السُّحبِ بيْضَ نعام مليئاً بماءِ «زُوْزانْ»، كي يشربوا ـ إن تاهوا ـ ظمأهم بليلاً بوعودً المفقوديْن. هكذا،

على

الصخرة

ذاتها،

في التَّمام المُعَذَّب بتمامه، سيُريحون أقدامَهم متدلِّيةً من إثم الطاهر إلى

الينابيع الدافئة في جليد «كِيْرُوْنا»، وهم يتنفَّسون، برئاتهم الزرقاء، خواصَّ المُحَلَّى بسُكَّر الجحيم. صقورٌ رئاتُهم. ذئابٌ معجزاتٌ رئاتُهم. شاهقٌ، مشرفٌ بعواء الذئاب على كلِّ هواءٍ، رئاتُهم. يقطفون الهواءَ زنبقةً زنبقةً من حافَّات الشكلِ البستانِ. قلاداتٍ يرصُّون المتناثرَ من أعمار المخذولِيْنَ، ويرصِّعون يواقيتَ الموت بطعومٍ من ميثاق اللَّحم. أخْذُلوهم كي يخذلوا الموتَ. عِدُوهم بالذي لَايَعِدُ أحدٌ أحداً. طوِّفوا بهم على النشآتِ متتاليةً في الزئبق. بأريجِ مقصٍّ يقتطفون من بساتين المسكون، التي أهملتموها، تواريخَ سائلَةً لُعاباً من فم الكمال في غيبوبته. وسيقتطفون، بقُبلاتٍ على أيدي الجرحى في السديم الإلهِ، رعشةَ اليقين، أو سيسلخون بهائمَ السماءِ حيَّةً على جنبات المزاود الملآى بشعيرٍ ونُخالة من علف الملائكة المتوهِّجة سُمنةً. كلُّهُم رُعافٌ، نزفتهمً الأنوفُ الكبيرةُ لخُيلاءِ الطين. كلُّهم خُدَّامُ بزورُ فاكهةٍ في معقلِ الترابِ الحَمض. حلوٌ ذعرهم كقديد البطيخ شتاءً في «هندوكوش». مُلْهَمون كشفقة الدخَان. مُلْهَمون كجرحٍ يُعيرُه شحاذٌ إلى آخر. وهم، عنوةً، في المكان المتساهلِ باحتسابِ الوجودِ وجوداً، يأخذون إلى الحَلَبات أممَ المكنون الذاهلَ، ساحلِيْنَ، بسلاسلِ الخفَّةِ، القبابَ المُمتَهَنةَ في الأعالي بحجارتها ـ حجارةِ النُّور المُمْتَهَن.

فُتاتٌ من كعكةِ الأليفِ بعد القضْم؛
موحِشٌ أليفٌ، كعكةٌ في القضم بأسنانٍ آدميَّةٍ؛
حواصلُ قُوْقٍ مُتخمةٌ بقواقع أنهار «قِيْسَارِية»؛
حواصلُ طيورِ الجليدِ؛
الحواصلُ البدءُ، المنتقمُ ـ تباعاً ـ من نَسْل المُنشدِ قلقَ الأرضيِّ من جَمَاله؛
غلاَّةٌ كعبث الذُّرَةِ؛
ذُرةٌ دعاءُ ملوكٍ قبل أن يُذبحوا؛
وِجْدُ دَيْنٌ؛
مضاءُ نيسانَ المصارع بمِعْزَقته؛
اعتلالُ خبَّازيْنَ في أفرَان اللهِ؛
بشراتٌ شاحبةٌ، أكثر نقاءً من وصْفٍ يُرضي الحياةَ؛
شحوبُ قُبلةٌ من فم الحقائق كلِّها على شفتيِّ الوجودِ؛
سطورٌ
هذه
في
المتآكلِ من
نقش
التَّرفِ
على

حلوى

الليل

إِذْ دُهِم المدعوُّون، في الليل، بالشَّفراتِ فانخلعوا

متناثريْن سطوراً تتعثر بها أقدامُ

الحِبر. سطورٌ

هذهِ

من

حياد

الظلِّ،

وحِرمانِ الهباءِ المملوك.

سطورٌ

من

إحسان

الجوعِ

إلى

الجوع،

متراصَفةٌ كغرور الماءِ.

هُم أغرقوا محظيَّاتهم في بِرَك الماورد.

أغلقوا على إخوتهم دروعَ الذهب سَكْباً مصهورةً،

وذوَّبوا السماءَ والأرضَ دراهمَ مسكوكةً بأختام الظاهر وأخوالهِ.

أقسموا: لن تكون عِمارةٌ إلاَّ بدُرْبةِ القوسِ الحِيْلةِ،
والقنطرة المستحية،
والطاقِ المجدِّفِ،
والحنيَّةِ بنتِ الهوى،
والمشكاةِ الواشيةِ،
والزَّافِرةِ ـ خيلاءِ البرقِ اليربوعِ في مدن بلا رعدٍ.
أقسموا أن يُبْقوا الغدَ على حالَه: مرتبكاً في إعداد الإفطار صباحاً؛ مرتبكاً في تقدير التابلِ للحوم الغَداء وخُضاره؛ مرتبكاً في تحضير العَشاء بزبدةٍ مالحةٍ. غَدٌ سيُرمى من السور إلى المُحَاصرِيْنَ؛ سيُعلَّق إلى شجرة المَوز عُنقوداً من نَحْتِ شجرةِ الخرُّوب. غدٌ يُطوى كالمطواةِ الصغيرة في جيب السَّارق. غدٌ سَرِقةٌ. أتظنونهم أقسموا؟. بكلابِ جوعى يبدأون رهانَهم على ماأقسموا أن يكون قَسَمَهم أمام الجوعِ الوَرِع، مُذْ اخْتيْرَ سَنَداً لنبوءة الإنسان، هنا، في الرماد المُحتَكم إلى جدالِ أبيه العِنَبِ. أتظنونهم أقسموا؟. كم مكانٍ صدَّقَ وعدَ الدم، في الخيال، الذي أهرقوه دماً على جهاته. صدَّقهم الذهبُ، والفَناءُ المُمهَّد بلا نهايةٍ للنهب الأكثر عذوبةً، ومراعي الأعماق، وخلجانُ «كِيْنُونْ» المطوَّقةُ بظلال أنصابِ للأثداء المُرضعة كلَّ زبدٍ. صدقتهم الحروبُ مرفَّهةً كَبناتِ آوى في حقولِ القثَّاء. صدَّقوا ـ هُمْ ـ جمالَ المُمْتَحَنِ بكسور في الأرقام الأثيرةِ لدى حَسَبةِ الأفلاك تتردَّى منتحرةً من شواهق الكَلمات. صِدْقٌ كثيرٌ فنَّدَ ببراهينه من عُجُوب

الموتى شبحَ الحياة الناطقَ بلسانِ الجُدْجُد. صِدْقٌ ممَّا يحتمله الذاهلُ في عربته المجروفة، بأفراسها العَشر، إلى الأَخدود ذاتِه، الذي تكتم السماءُ أنفاسَها هَلَعاً فيه.

أقسموا،
أمام
كلِّ
عبثٍ
قَسَمَ العبث.
أقسموا
أمام
كلِّ
بطولةٍ
قَسَمَ البطولة.
أقسموا
أمام
كلِّ
نكبةٍ
قَسَمَ النكبة.

أقسموا بالهجرات كلِّها أنهم سيُبيحون ماأباحَ المرجانُ للخلِّيةِ في معقلها ـ معْقلِ اللون المُرشِد.

لا،

لن يكون للألم مرحُهُ في المشاداتِ بين الإنسان ومواثيقه إنْ أهانوا الألمَ، أو نسوا أن يُقْسموا أمام الألم قَسَمَ الرضوخ للوعد المُرْهِق في شَرْع النار. هاهُمْ كوفئوا بقلوبٍ مرقَّعة، من جهاتها اليمنى، برقائقَ من قِشْر الكَستنةِ، وبأكبادٍ قواديسَ، لمَّاً أحاطوا بالفجر فاعتصروه، وبالمغيبِ الحلوى خُولطَ بشتائم السهول للأودية. لئِنْ شرَّدهم، طويلاً، في المُمْتَنع. لئِنْ دوَّل انكسارَهم عقيقاً في سلطان الزمرد. لكنهم ألزموا أنفسَهم بالجهاد اعتدالاً، وتجرَّدوا من حُظوةِ اليأس كي يتَّفقوا والمديحَ على نهايةٍ.

عُذْرُهم هجراتُ قناديل البحر من «بافوس» إلى بحرِ «سَاموتراقيا».

عُذْرهم إجاصةٌ؛ قبورٌ أنها لم تكن قبوراً.

لهم عذرُهم في البقاء متَّفقيْنَ على سهوِ كزندقةِ الفُوْفل، مُذْ شُرِّدتْ قلوبُهم إذْ أحبُّوا «كِيْنُو» المتورِّدةَ من جرحِ الأوقيانوس؛ الممتلئةَ الرِّبلتين؛ المُغْتذيةَ بخبز الذُّرة ثلاثاً في يومها، وبأقداح من عافيةِ الجعة برغوتها. هي، الفتاةُ المعسولة ككلام المُرائي على أتَمِّ عَسْلِه؛ الفتاةُ القُبَلُ من شفاه الطحينِ على شفاهِ المعْجَن. التهموا «كينو» بالنكهات الثماني للجسد، مطبوخةً حيناً في أمل القرمزيِّ، ونيئةَ حيناً، على صحافٍ من الرغبة، مطوَّقةَ الجوارح بأضاميم من نعنع «لِيفْكاسْ»، وأكاليلَ الجبل، وبصل الربيع بأنحاء «شاهْ وردْ». لأيُلامون. تُلامُ

«كينو» إنْ مُضغَت طويلاً بين أضراس العافية في الفم الشهوةِ الأنيقة متأنياً في مضْغها لُباناً أو تانْبولاً. أرتْهم «كينو»، ببراعةَ الجيرِ الخطّاط، حَبَلاً من قلق الهندسة يستنسخُ به الله مداخلَ العماء، وسُرادقَاته: حَبَلٌ أدراجٌ من فكاهات البرِّ إلى فكاهات البحرِ. أحَبُّوا «كينو». دأبهُم أن يُحبوا التي تنتظرهم نصفَ مطهوةٍ، نصفَ نيئة، تؤكل في مَرَقِ الحِصْرِم. دأبهم أن يحبوا كلَّ امرأةٍ تنتظرهم بعدْلٍ بظرها وسَيَّافه. أتظنونهم أحبوا «كينو»؟. لاتنسبوا إليهم إطنابَ النهاية في ترخيم نشيدها العاشق. لاتظنوا بهم مايظنُّ الصخَبُ. أحبُّوهم بقليلٍ من كبرياء الأفران، وبالكثير من هُدام الموز. هُمُ الرَّحْبُ عالقاً في شَبكة الضرورةِ؛ الأثرُ البازلتيُّ؛ الأنفاسُ، التي أحْصَتها الأنثى ارتعاشاً من بلوغ البظرِ حكمتَه الأولى مُريداً للمشرِّع الجسدِ. اعتدِلوا بهم كي يعتدلوا بأَخوَّةِ الأرُزِّ على موائد الهاربيْنَ. من «أمانوس» الجبلِ سيقتطعون جذوعَ السماء لِنحتِهم ـ نحْتِ الخالِص. بأزيز الشَّررِ من حرائق «أنطاكيةَ» سيكيلون إرثَ العقل، ذي الشارِبين المبلَّلين بشراب التوت، ومن «كيليكيا» الخُمارِ، بعد ليل معتلٍّ من يقظة ظلامه، سيسترجعون الأرقَ ملاذاً للذهب، والذهبيَّ رِميةً لليأس، بسهم الآلهةِ المكسورِ، من خندق الحياة والموت صوبَ السفنِ مجتاحةً مضيقَ «سَاموس».

هَوْلٌ مَنْعةٌ: أعطوكم الهولَ المَنعةَ، ببسالة المرئيِّ، كأنهم لم يخاصموا التعبَ على حقائقه، لتفوزوا بالتعب شريفاً من محاكاة الطاووس. عقلٌ سُرْفةٌ عبورهم في عشب «شاهْ رُوْد» بأسلابِ الحكمةِ ـ أمِّ السِّفاح الأولى، خليلةِ اللسانِ السِّفاح. هولٌ تجرَّدَ من نُظُم الموتِ: أعطوكموهُ ـ الهولَ ـ خلاصاً كعقلَ السُرفة في حدائق المعتدلِ. احْذَروا: سيتململون قليلاً من إصغائهم إلى الجياد هاذيةً في رمال ضفاف «القُلْزُم». سيعرقُ الماءُ رَهَقاً من حمْلِ الماءِ لِحاقاً بجيادهم من مراقي الهجراتِ كلِّها إلى هاويةِ الأعالي.

بكاءٌ يوحِّد الظلامَ.
بكاءٌ بلا نشيجٍ يوحِّدُ مايكفل الجرحُ بهِ الجُرحَ.

بكوا طويلاً من عِظة الورد. أولاءِ بكوا. المعتذرونَ، جُزافاً، إلى وساوسِ الرماد لايعتذرون إلى الرماد. قلّما اعتذروا آن أبكوا السنابلَ. قليلٌ بوَحُهم للسنابل عمّا يكفل الجُرح بهِ الجرحَ. جوّالون بالبكاءِ الموحِّد. هَيُّوا، اعتنقوهم بعظاتٍ أمشاطٍ تسرِّحُ شَعْرَ الأسى الأجعدَ، وجُرُّوا البرازخَ بحبالٍ إلى نعاسهم. آمِنون مُذْ كُنتموهُم؛ مذعورون مُذْ كانوا ماأنتم. لاأبعدوكم. لاأبعدتموهم: في المأزقِ اليقينِ تُسوَّى المعضلةُ افتداءً بدراهم العصيان. النمارقُ ممزقةٌ حولهم، وللهواء حولهم ألمُ الشُّطَّار إنْ حُوصروا. لاالمجدُ يؤدِّب الريحَ، التي ألزموها غفرانَ حرائق الكمال؛ لاَالغفرانُ ينقِّي بغرباله السماءَ المطحونةَ. مطحونون يوحِّدون الضَّوءَ النجميَّ، في مقاصير الكواكب، ببكاءٍ خفيضٍ يوحِّد الظلام.

حُزمت الأنقاضُ؛
أُعيدَتْ إلى ميزان النَّشأةِ الحجرية.
خُلطَ العماءُ، ثانيةً، بالنقش المُنقذ،
وعُلِّقتِ الآياتُ متجاورةً والمعاطفَ إلى مشْجب الخلود الضرير.
أُريقَ العدمُ قَدَحاً قَدَحاً على أقدامِ العاديِّ الخمسِ؛
أُريقَ الشكلُ من طاسِ الطباع كلِّها:

هذا ماخمَّنوه تأويلاً للعفافِ المأزِق، في صباح الكائن مسترشداً بعزم البياض، وغرور أبيه الخادم ـ سيَّافِ النقش، متزاحمين، بسيماءِ البُعْدِ المثلوم للخلائق، على منعطَفات الأصل، تتساقط أعضاؤهم كلَّما أنجزوا قفزات، بأقدام الأزليِّ، من العقل إلى العقل. سقوطٌ يحمي مكيدتَهم ـ مكيدةَ الشبح المُنْجَز قُفلاً ماءًا. معصومون بسقوطهم من شجرة الكمثرى إلى أرض الكِراث الغادر. لمَّا يَرِثوا مااتفقت عليه الغياهبُ المُعلَّقةُ، بعْدُ. صانوا الغياهبَ كي تتَّفق مع الدم على صَقْل الأبدية الثالثة من خيال الرخام. لمَّا يَرثوا الوحلَ تصاويرَ شواءً بعْدُ، أنيقاً من أنفاس الأفران تتأدَّبُ بعناق النار للنار. لاحوْلَ. صباحٌ مُحْبَطٌ؛ جديرٌ بتعبه الصباحُ المسترشدُ، كالكائن، بعزم البياض شاهداً على العماءِ المُصارع في نمنماتِ البياض: هُمْ مكثوا في البياض المسترشد بصباحٍ لم يتجرَّأ أن يُبرِم اتِّفاقة مع الوقت كصباح. هُم أغاثوا النقاءَ العَلَقةَ على صعودها إلى خصية الكمال متضرِّعاً، بذكورةِ المراكب، إلى الغمام الملاَّح. تتبَّعوهم ـ أنتم ـ من الأغاني الشاحبة في الحناجر.

رُدُّوهم مَثَلاً. أسْرفوا في اعتقالهم حياةً بعد أخرى. انْسخوهم غَلْقاً. لن يُحيِّرهم الشقاءُ الراصدُ بعينيِّ المجد ابتكاراتِ أرواحهم مُلفَّقةً من أسَفِ الشِّعر. ملفَّقون صوراً في مداجن البروق الجاثمة على بيْض مكسور، مُذ لفَّق السّيفيرُ الغاضبُ للقلائد جمالَها المتهوِّر. لكنهم، طوْعاً، تراجعوا للجِهاد الوسيط كي يَهَبَ طلاءَ الزئبق ـ على لسانِ المُحيِّر ـ كلَّ لسان، أُسوةً بالجحيم تَهَبُ اللسانَ عظةَ البقاء نقيًّا كبزر الخشخاش على الأرغفة. لن يردعهم شِجارُ الحريق، الذي لا يُحْسَم، عن إذلال الطيلَسان على أجساد آبائهم مُعَلَّقينَ إلى أسدية الجفافِ حول «أموداريا» ـ النهرِ القناع، وفي أفواههم قضماتٌ أخيرة من خَسِّ الرومان. لن يردعهم الجَبليُّ السهلُ؛ السهلُ الجبليُّ؛ الهباءُ المتردد أن يوافق غطرسةَ الريش. ارتَدوا أقنعة الماسِ السَّمنجوني في الرحيل إلى الشرق الثالث. واضحٌ هذا: هُمْ لفُّوا عناقيدَ عنبهم بالكتان على غصون الكروم، وشاءوا الكهوفَ الجافة من إقليم المُغُل حِفْظاً لبطيخهم. جمعوا الزبيبَ والبنفسج، معاً، في صُرَر الكُرد. جمعوا شعاعات الشمس، وغبارَ القمر، مختلطةً بملح وشعير في صُرر الكرد غذاءً للجياد، التي رُقِّنتْ بالحنَّاء من أعرافها حتى الحوافر.

ضربوا صَفْحاً عن الآلهة.

دخَّنوا التبغ والتوبازَ المطحونَ لفائفَ بأوراق المكاتبات بين العشَّارِيْن.

ملأوا أجربةَ الريح بعظام الموتى الذهبيةِ؛ بجلودهم المسحوقة إنْفَحَّةً لِلَبن الظلام، كي يحملوهَا اعتباطاً إلى مخازن الكوبالت على سطح «أرارات»، وفي قَصْدهم أن يُغووا المجاهلَ برقصٍ من بهلوانات «سمرقند»، ويرفعوا دعاءَ الفلكييْنَ، الذين بلا قمصّان؛ بلا أحزمة تتدلى منها أكياسُ الكون الرقيقةُ، كأنهم أزمعوا، بإحكام من منطق النوشادر، مؤالفةً بينَ النفاق المُحْيي ـ نفاقِ الفجرِ ـ وبينّ العزائم، بقليلٍ من منهج السُّكَّر محترقاً في وطيس السَفرجلَ المُحتدم.

ضربوا صفحاً عن الأمَّهات الجحيم.
متمدِّدينَ وضعوا ورقاً أبيض على صدورهم، قبل الموت.
وضعوا أقلاماً رصاصاً فوق الورق، وأغمضوا عيونَهم على الكُلِّي.
ماتوا ليتعثروا بالموت في الأثلام الترابية للنعمة.
لقَّنوا النعمةَ رعشةَ الذبائح. ارتعشوا، هُم، في الموسميِّ من الذبحِ ـ هيام القَدَر بالحقائقِ مجدِ الذبح.
كانوا كما ينبغي.
وسيكونون كما ينبغي:
إنهم قلبٌ، نصفه وشاية بالنصف الآخر؛ نصفٌ يُحرِّضُ الذعرَ على نصفه المطمئنِّ، وهُم قدَّروا أحوالَهم مخدوعينَ بالمماطلة الكبرى، التي حشدتهم أوفياءَ كالجوع. وكما ينبغي للشيء، مقدَّراً بأحواله، أن يوصفَ، أجْروا وصفَهم على كل شيء، مخدوعين بالأزلِّي.

لاتثبت عينٌ على حنينهم ـ حنينِ الشكلِ. لايَثْبَتون لِعَين كي تختزل بهم شؤونَ الحكاية إلى فرْق بين النَقاء والذَّرةِ. حواريُّو لوثَة الياقوتِ هُمْ. نشَّارون على عتباتٍ يُنْتَف الزمنُ خلفها كبطةٍ، فلا تأخذوهم على مَحْملٍ مُذْ لم تأخذِ الحياةُ ذاتَها على مَحْملٍ. موتى أصحَّاء. موتى مُعْتلُّون. صيامُ أعمدةٍ في المداخل إلى المداخل. بُنٌّ صفيقٌ. حليبٌ مثلَّج في كؤوس العطَّارِيْنَ. حُمْلانُ الرجاء، وماعزةُ اللاَّهي ـ لاتأخذوا كلَّ هذا على محملٍ من سُبات الخلائق ونشآتها المدمنةِ السماءَ مذوَّبةً في عصير التوت.

مدمنو شبُهاتٍ هم. تَناشيرُ على لوح الخُيلاءِ. يمرِّغون الطينَ والقشَّ بأقدامهم لبناء سور النهاية، ويخلطون الصوفَ بالملاط لعزل النَّفَس القويِّ من صحراء «سِيستان». ليسوا غُشُماً كي يُهانوا، بعدما استنفدتِ الشبهاتُ حقائقَها بإدمانهم الشبهاتِ مذوَّبةً في سُكَّر السفرجل، كالسماءِ التوتِ مذوبةً علىَ لسان الحاكم بأمر الحلوى، معتنِقَةً دِيْنَ الفاكهة الأمينة لجهادِ المسكِ ـ ابنِ المُتنبِّئات.

أُهينوا قليلاً.

أُهينوا مُذْ جفَّفوا حقولَ أرزِّهم ـ أرزِّ المخاطبة الثَّمِلة، وجفَّفوا آجرَّهم تحت شمس «بوَّان».

أُهينوا في حصار الخَزَف نقوشاً لاتتساوى نِسَبُ أخلاقها كنِسب الأخلاق في خَزَفِ «الأيزيديِّ».

أُهينوا أحياءً بتعهُّدهم هندسةَ الحدائق. تعهَّدوا فأُهينوا. سِتًّا أُهينوا كَما لم يُهَنْ غبارٌ قَبْلاً. خُذِلوا فأُهينوا بإحكام الموت عليهم طوقَ الحياة. سِتًّا بتماهِياسِتًّا، من شروق العَدَم على صُنَّاع أباريقه في حصن «صيدون». أُهينوا بإحكام الحياة طوقَ الموت عليهم في البراميل مختمريْن نبيذاً مِزًّا يتسوَّله الجَلالُ المُدْقِع من الموتى النبَّاذيْن. سبَّاكو جراح بقوالب سَبْك الجصِّ، هُمْ. أُهينوا فأهانوا الجراحَ، أولاءِ، نسَّاكوٌ الزنبق المبتذل؛ السمكريون في أنفاق المطاحن؛ حلاَّقو الرؤوس متدحرجةً على صحائف الوعد. سيدَعُون الأمورَ تمرُّ. مُذْ لم يعرفوا كيف يوقفونها سيدعونها تمرُّ. حماسةُ خذلانٍ ترفعهم، قليلاً، ببيانها، إلى الحدائق الزائغة، كي يروا، من الأحواضِ المغاسلَ للمتنزِّهين عراةً، انحرافَ النجوم؛ شذوذَها ـ شذوذَ سلوكَها بالنُّورَ، من الزجاج المعتلِّ بفقاعاته الرملية، إلى المجدِ طريحِ الفراشِ معتلاًّ كتدبيرهم الجراحَ سَبْكاً بقوالب الروث للمدافيءِ.

أُهينو أحياءً.

أُهينوا موتى:

سَبْعاً أُهينوا بمخاطبات الموتى السُّوْقة في أزقة اليقين، وشتائمهم على الأدراج غضباً من فضائح السَّحَرة. سبعاً مراتٍ أُهينوا مجتمعيْنَ على إفطارٍ من الخبيْصِ في «بابل» ـ النهارِ الرَّعاعة في حساب الأيام النبيلة كعَبِءِ البشرى. أهانهم حلمٌ لايتناسبُ وأكلافه؛ دعيٌّ حلمٌ لايكترث بأَمارة الوجدانَ الصارم للواحات. أهانهم الجرحُ المُحنَّك؛ أهانتهم الأرواحُ تسترقُّ الأرواحَ في مزارع «دوما». لايأبهون لبُطلان الجوفيِّ الزهر متراكماً في الجوفيِّ الزهر، ويختارون ـ بذوق المُخْتَزَلاتِ ـ أضداداً تتوازى في سطور الرَّجز المُعَنَّى: أروميُّون في الوجود مناكفةً تتقوَّض من حوله جهاتُ الغضب. متَّزنون ـ اتزانُهم الظلالُ بأقدام عارية. متَّزنٌ، من حولهم، الشعبُ المُحْتَمَلُ ظهوراً من خرائبِ الكلمات بأسلحة، وحروب كالبَيْض مُدَفَّأَة تحت بجعة الوجود. سيغسلون أسنانَهم، عمَّا قليل، على حوافِّ البرَك تتمرآى فيها عقولُهم استغاثةً بالجليد المستغيث. سيدهنون شعورَهم بزيتٍ نكاح، ويطعِّمون بالقدَمِ المُسْتَأْصَلِ غصنَ البرقوق في حدائق «أربيل». خيالٌ خلٌّ. قلوبٌ خلٌّ. طبائعُ من شكٍّ خلٍّ: لم تزل عظامهم المهشمَةُ في جبيرةٍ من جِبْسِ «قزوين». لم تزل أرواحُهم المهشمة في جبيرة من نُكرانِ اللِّفت مخلَّلاً بنُكران القراصيا. محمومون مُذْ زلَّت قَدَمُ الملاك، كأُمِّه الجاريةِ، في دخوله على أنينهم بَشراً يحتكمون إلى النهارِ ـ

عَلَقَةِ التيه. لبوءاتٌ تجوب يقينَهم. يجوبون ـ هُمْ ـ يقينَهم بزئير من عبثِ الذهبيِّ. كلّما ارتجف الذهبُ ارتجفوا. كلّما عربد العصفرُ في قدورهم عربدَ أدبُ السَّمْنِ ـ أدبُ خيالهم. روائحُ أسماك وضيوف تتصاعد، معاً، خلف شُرفَاتهم المُفَرَّجةِ للقنص بسهامِ الزعفران، وهم يستطلعون جيلاً آخر، منتحراً في المنعرجات المتهكِّمَة للسهول. بِهِمْ ريبةُ الفردوس من الأحياء، وحِرْصُ الشعير على أمومة الزيزان. عيونُهم ـ يالَها عيونُهم الكسلى، المنكسرةُ إذْ يمضغون فطائرَ المعاني. وأفواههم ـ يالَهَا أفواهُهم من ثُغاء القُبَلِ. ناطقون بالرَّدْم السُّبْحَانيِّ. خُرْسٌ يتحسَّسون بألسنة المجاهلِ أُصُصَهم الملآى بالآلوسن الحجري؛ ومديحُهم مديحُ الزائلِ المُتْرَفِ، العَوَضِ، لايُغْمِضُ جَفْناً عن نسْلهِ.

سَقَّاءون من رغوات البحر، بأباريقَ ضياء، يجوبون المعابرَ إليهم: ليتَهم ازْدَروا مايزدريه الليلُ، وأَجَلُّوا بأعناقٍ مائلةٍ قليلاً مايُجِلُّه الليلُ.

سقَّاءون من رغواتِ البحر يتراشقون بتيْن «البنغال»، على تخوم أزهِم: ليتَهم، بكفاحٍ ككفاح اللوز المشاكس، أعانوا الضيوفَ الرُّحَّل بين قباب اللازورد، محتدمِيْن: «الأقوياءُ لايُخْذَلون. الأقوياءُ يُخذَلون». لاقلوبَ على شفاههم إذْ يُقبِّلون. قلوبٌ مُهينةٌ تلك، التي ولاؤها للأرَقِ ـ حليفِ العصْف. قلوبُهم تلك المتسوِّلةُ نفوذَ الكمأ الأمير. ليتها القلوبَ الأغاني في المطاحن ـ الأغاني المطاحن. غناءٌ كضراوةِ نهد العذراء. ليتَهم بعِقابِ خِفَّةٍ في مُعتقَدِ الخبز، أو بخُيلاء البارود، أثاروا الأملَ الوقحَ كي يخرج عن طوره محتبساً شهيقاً كَحبْسِ الماء شهيقَه طويلاً. غناءٌ ضراوةٌ في المطاحن. نَهْدٌ ضَارٍ. ليتهم. قلوبٌ مُهينةٌ. غناءٌ تتساقط أسنانُه:

لن يرثُوا شيئاً:

أُغلقتِ المداخنُ على الأعياد.

أُغلقتِ الأعيادُ مدخنةً مدخنةً عليهم.

سيجمَعونهم، في الأسفل الذهبيِّ للمداخن، قرب الجمر المقامر بهم دخاناً، عرانيسَ ذُرَةٍ. سيجمعونهم لُقَطاءً ـ نهاياتٍ لم تَرِثِ النهايات.

لن يعودوا من رحيلهم إلى مالم يكن هناك.
طُرقٌ ممهَّدةٌ، أمينةٌ لنفْسها كطُرُقٍ، لن تعود بهم ممَّا لم يكن هناك.
بثياب كثياب المهرِّج،
وعقولٍ سائبةٍ كأبهاءِ الآلهة، سيعبرون الطرقَ الأمينة لنفْسها إلى مالن يعيدهم من هناك:

لقد مكَّنوا كلَّ رحيل أن يصير قدْر رحيلٍ يليه. عطَّلوا المجهولَ الأوفى وهم يلقِّمون الهَرَرَةَ شرائحَ من لسانٍ الممكن. فلا تخذلوهم في الهزيع الثاني من قدَر الإنسان، لأنهم مكَّنوا المعلومَ الأوفى أن يصير قدَمَ القِدَم، وأنتم ترونهم على أرائك من قُطن آبَ، يتبادلون عتبَ المهمومِيْن. أرأيتموهم ـ قطُّ ـ قبْلاً أُخوَّةَ الطين في السيل؟. على أرائكَ من ماءِ آبَ يمدِّدون الشهورَ مرتعدةً. لايرتعدون كأسلافهم، الذين لم يرتعدوا في أخدود «تاييِسْ» ـ أب الجفاف العاشق. يرتعدون كالأمل. أبداً يرتعدون كالأمل على أرائك من جهْل الريح بالحساب. لم تروهم بعْدُ. لم يروكم، أنتم المنتصريْنَ بجسارة الهزائم المنتصرة. عَيْنٌ وشايةٌ عليكم. عينٌ وشايةٌ عليهم. لايُقتَلون بجرائر الإثم الحجَّام. لم يولدوا ليُقتلوا. لم يولدوا من ماءِ آبَ ليقتلهم أيلولُ الناسخُ.

في الصباح، الذي كلموا نسيانَهم؛ في الصباحِ النسيان، تسوَّقوا للأعراس أحذيةً بلا أعقاب، وأرزًّا بلا نشاء.
تسوَّقوا ملذَّاتٍ مختومةً بشَمع العسل،
ومغارفَ لقدورِ الحساء،
وَشَاياً أخضرَ يُرتَشفُ بزبدةٍ ذائبة.
تسوَّقوا الليلَ بنجومٍ قشدةٍ،
وأقمارِ ألسنةٍ.
تسوَّقوا المكانَ جُرعةً من الكونِ القِربةِ.
تسوَّقوا مراتبَ الدهر،
والمُمكنَ النزيهَ،
والمشيئاتِ خاملةً،
والأنساقَ بحبرِها ـ حبرِ الصَّبيدج،
والمكنونَ المرابي،
والأعراقَ ـ تسوَّقوها خالصةً في السَّرقينِ الوهَّابِ،
والأليفَ كي يرهنوه تِبغاً،
والضرورةَ الصَّماءَ،
والمؤتَلِفَ نُقلةً في شقاءِ المؤتلِفِ،
والخبزَ فطيراً بعْدُ.
تسوَّقوا العناقَ من الرَّحالِيْنَ،
والأبديةَ ـ وَرَمَ المكانِ اللحمِ،

وتلويحةَ الغيب من سفنِ القراصنة في بحر الصومال.

تسوَّقوا الكثيرَ من قليلِ الخفيِّ بجلوسهم - جلوسِ المنتصرين - إلى يمين الشِّعر.

تسوَّقوا أسواقَهم منِ هدير التعب، في عبوره بالعرباتِ الصلصالِ على جُسور النبوَّاتِ كلِّها.

طووا معاطفَهم بأناةٍ.
وضعوها جانباً على المقاعدِ الأزلية.
وضعوا قبعاتهم جانباً.
وضعوا الرياحَ، والسهولَ، والجهاتِ جانباً.
وضعوا الكونَ جانباً على البساطِ الخَيْش، الذي تلقَّفوا عليه زيتونَهم في حصاد الألق اللاذع كخريفٍ.
وضعوا الأقدارَ جانباً، كي يشدُّوا بأيدٍ حُرَّةٍ على الأيدي الممتدة إليهم من صدوع المعقول.
وضعوا أنفُسَهم ملبَّدةً، كخيال الجوز، جانباً،
وأفاقوا مقتولين.

بَيْدَ أنهم يستعيدون أنفُسَهم يقظةً، بعد المقتلة، كخيالِ الجوز، مرفَّهيْنَ بحدْسِ النقائض. لايرون بحيراتٍ، بل يسمعون هذْرَ البحيرات، وينتزعون مساميرِ المراكب بأسنانهم ـ أسنانِ التَّلفِ المُحْيي. اعْتَنِقوهم أنتم. أذِلُّوهم بإطراءِ الهزل. أسْمِعُوهم أنها الحقائقُ أُذِلَّتْ مذْ أُجيزتْ حقائقَ. إباءُ مهرِّج يردم، الذي احتفرتموه ـ أنتم، وهُم ـ من خندق الكمال. لن يتحصَّنُوا بحصنٍ أو نشيد. مكشوفون وقد نهجوا، بحيواتهم المكشوفةِ رسوماً بلعابً البَزَّاقِ، نَهْجَ الرقم ضريراً يمهِّد للوصف حسابَ الأبعاد بأير المعاني المنكمِش. أطْرُوهَم بلَغو البلبل؛ بالمتملِّقِ السَّحَر حذاءِ الصباحِ وبردعتِهِ، وامنحوهم حصانةَ البرتقال. سيستعيدون أنفسَهم يقظةً كخيالِ الكيد، وروْغاً لايثبتُ للفاحص، نطاسيِّين بعلوم النطاسيِّين شمالاً من منابع الكبريت في الفردوس. لهُم اللذائذُ حكمةً لاالسنُونَ. ويستميلون، بالنقصان الساحر، النساءَ الطُّرُقَ؛ النساءَ البواباتِ والأقبيةَ؛ النساءَ المجابهةَ؛ الحلبات المذاهبَ في تقدير الجسد للمُحْتَمَل. يستميلون مايستميلهم أبوَّةً قضْماً للفاكهة على شجر المهجور. مرايا فاكهةٌ تتكسر في قضمها أسنانُ الأمهاتِ الآباء، والآباءِ المحرومين من شفاعة أمومتهم. هم مرايا فاكهةٌ؛ مستورٌ يُفْتَضَحُ بلسان المستور. أيُخْذَلُ مثلُهم؟. مجدٌ عتَّالٌ يلقي بأحماله من أكياس العظام على فكرتهم ـ الميزانِ يُكال فيه الخالدُ لحْماً هَبْرةً. يُخذَلون طويلاً. يُخذَلون بالغشِّ الصالح؛ بالصالح لحما هبرةً بعد السَّفك، محمولاً على النياق الحجر تتهادى في الشعابَ

من «نجران» إلى جبال «كونْ لونْ»، مُذْ تركوا لأحفادهم مشربيَّات متداعيةً في بيوت «أكاذْ»، وأقنيةَ ماءٍ لها حياءُ النحاس. حدِّقوا إليهم: شُروخٌ في الأحداق. لاتتبعوا أثَرَهم، بل اتبعوا الأنينَ. أنينٌ يلتُّ الأرواحَ في طحينه، ويدحرج كُرىً سميداً إلى القطْر. لاتتبعوا أنفاسَهم في صدف البطليموس على سواحل خليج «أودِنْ». قريدسٌ كثيرٌ يصعد من ملح أكيدهم إلى مياه «الخزرِ» ـ البحرِ الراويةِ، كهْلِ مجالسِ المرجان. وهُمْ يُرَون في شتاتِ الصور على درع أرخميدس ـ ثقةَ الشعاعات بالحرائق في البحر الراوية، كهْلِ مجالس كهرمانِ البلطيق، ذاك، الذي من دموع الشقيقات.

أشباحٌ تقايض الأشباحَ سُفناً بسفنٍ،
وجسوراً بجسور،
حيث لاتتقدَّم الأَرضُ بانتصارها إلى أحد.
جراحٌ متَّزنةٌ تُحْتَمَلُ بثرثراتِ الألمِ ضاحكاً؛ بالهذيان يُطبِقُ دَفَّتيِّ المُوْجِع على أَزقة الله:
هكذا، زُقاءُ ديكٍ يبلبل الأسلحةَ، وذلٌّ مفوَّهٌ يلقي على الجموع بيانَ يقينهم.
أشباحٌ تتوسَّلُ رأفةَ الشُّرَّاح بقلوبهم في تدوين المُمزَّق. عودي أيتها الحياةُ إلى قَسَمك الأُلْعُبان أنك، هكذا، زُقاءُ ديك تحت البَرَد.
عُدْ أيها الكمالُ الداعرُ جاحداً قريظَ البقاء، معتلاً كحرمان الرِّقة من نصيبها. هُمْ، أولاءِ، يعودون بجاهِ الحياة الفظِّ، وبالكمال الداعر إلى إناثهم لَبناً. هكذا هم: زُقاءُ ديكٍ محترقِ الرَّعَثةِ في جحيم العاديِّ.

يا أُخوَّةَ العاديِّ. يتُها الغَلَبةُ ـ ياغلبةَ العاديِّ استرقِّي بهم الخارقَ. أيها الخارقُ المتسوِّلُ، ذو الطاسِ المثقوب تتساقط منه النقودُ السماءُ يرميها العَدَمُ. أيها العدمُ النيزكُ ـ قضيبُ الضَّبِّ، ياالجرَّاحُ بمبضع الشكل المثلوم. أيها الشكلُ العافيةُ قياماً بعد انهيار الروحِ الأسى، المديدِ كعبثٍ لن يكتمل. ياالأسى الدَّرْس بالنوارج في بيادَر العِلَل. ياالعلَلُ الموثَّقةُ بنبيذٍ في جرار المهجور. هكذا هُمْ وثَّقوا المهجورَ بأُخوَّةِ الله، حيث لايوقظ شيءٌ شيئاً، ولايلتجئ الغدُ إلى الوقتِ. سيعثرون على وقتٍ ضيَّعه الوقتُ بآثام خلوده. سيعثرون على أُخوَّةِ العاديِّ ملقاةً بين دراهم الشحاذْين. سينبتون، ثانيةً، بجذور من لحم لم يُملَّح كفايةً؛ بجذور نقوشٍ لم يتسَنَّ لنقَّاشٍ أن يروِّض بهاً الطبائعً في حصار الزُّخْرفِ المُحتضَرً.

هم، أولاءِ، سأمتدحهم بآراب آلهةٍ تتهشم في ارتطامها بالهاربين إلى الآلهة؛ بخلود النهائيِّ؛ بالعجرفة تنقلُ البحيراتِ في خُوَذٍ إلى المدائح، والسماءَ تنقلُها في الدروع فضيحةً زرقاءَ كأنفاس النمر. لطالما امتدحتُ المشكِل كي أُعانَ في عبور الينابيع مدفَّأةً بأنفاس التِّنين ونبض الذهب، حاملاً مصفاةً لتنقية الرمل من نسيان الماء. أحُمَّى بحثٍ عن الرمل في السماء المدفونة تحت الحدائق، هناك، تعينني أن أمتدحَ المُشْكل؟ حافةُ قلبي حافةُ الغروب. سأبقيه قلبي هكذا كي أذوِّبَ أسنانهم الذهبية لِسْبكٍ رقم واحد. لم أُؤَمِّلْ في شيء. لم يؤَمِّل الرَّحالةُ بقلوب منسيَّة في الغسق الأول بشيء. دَرَجتِ الحياةُ أن تكون الفناءَ يُدَحرِجُ عليه الموتُ مُسْتَنْفَداً، لطيفاً كضلال العسل: «تأدَّبْ أيها الموتُ». نوابضُ تحت الأقدام طَوْعَ الموت. دَرَجَ الموتُ أن يؤجِّل الحاضرَ مراراً كدأبِ الحياة أن تؤجِّل الحاضرَ مراراً. كنتُ والموتَ نردَّهم، حيناً، فلا يسقطون عن حافة قلبي. كنتُ والحياةَ نحاذرُ العبورَ بهم، حيناً، على حافة قلبي: «ها أنتَ أحسنُ حالاً، أيها الشقاءُ القَفيْرُ». سأمتدحهم، أولاءِ؛ سأمتدح اليأسَ ـ حشيشةَ البَهَموتِ فيهم، بأفانين الصَّقْل على المواجع الخشنة. أولاء، اللَّبأُ يأكلهُ المستيقظون من حلم النَّحْل. أولاءِ؛ السَّبْقُ المُرْبكُ للخُصى؛ السحابُ المتسوِّل. أولاء، الذين من جوع الصوت. اطمئنُّوا إليهم صَفعةً من الأرض، أو لَكْمةً من السماءِ. شراشفُ هديرٌ تُنْشَرُ بيديِّ الحُمى على أسِرَّتهم كلِّها ـ أسِرَّة البيداءِ المُخْتبِلة؛ وهُمْ، بإصغاءٍ

إلى الغبار الصادق في أخباره، الصادق في وعده، يسنُّون صباحاتِم النِّصالَ على حجر الحرب، ويُلْبسون الليالي قبَّعات العقل بشراريبَ من عصب الديك ـ ضجيعِ الدفينِ. حماقةٌ أبجديةٌ همو. عبثٌ فولاذٌ كقلوب البحريَّيْنَ نابضةً في عتبِ حديدٍ. أذِلُّوهم بمديح مثل مديحي، مذ أقاموا معكم، أنتم المعتدلون بتقديرِ اليأس للمراتب، أوفياءَ للحجريِّ ـ غيمةِ الأصلِ. استنطقوهم ليعترفوا بالأزليِّ فِجًّا في مذاقه تحت لسان الحالم. سيدَّعون أنْ أحَبُّوا النساءَ. نساءٌ أحببْنَ نساءً أكثر منهم؛ علَّقنهنَّ أعلى مما يقدرون ـ هم ـ عليه، إلى غصن الدراق. نساءٌ قبَّلن النساءَ بشفاهٍ لاتتكلَّف طيشاً بتمريغ القُبَل في رماد القُبل. سيدَّعون أنْ أحَبُّوا. صدِّقوهم: أحَبُّوا. وهم يحبُّون، أبداً، في قلق. يقبِّلون في قلَق. يعلِّقون النساءَ عالياً إلى قلقِ الأعالي المتكسِّر بأغصانه تحت ثقل الدرَّاق، ويحصدون الماءَ بمناجلَ ماءٍ في لوعة العاشقيْنَ. نواجذُهم نواجذُ الرقيق عضًّا من المُحْتَمَلِ القناص. بداياتهم موجعةٌ. راحاتُهم ملآى بالقار بعد هبوب الليليِّ عليهم من غضب المعاني: لقد وُهِبوا تُحْفةَ الهرب بأقدارٍ ليست إلاَّ سأَمَ الله.

أقدارٌ ذابلةٌ.

آلهةٌ ذابلةٌ على غصن شجيرة الباذنجان:

كم تمنَّيتُ ذبولاً أكثر؛ كدَمات حول العيون من صَرَعٍ في خيالِ الهواءِ. خدودهم المتورِّدةُ حَنَقاً لن تتورَّد ثانيةً بابتزازٍ الماهياتِ للمُمكن. لن تكون خدودٌ، بل ظلامٌ يتحفَّظُ عن الظلام بشكوىً واحدةٍ من شؤم النُّور.

أقدارٌ ذابلةٌ:

سيكذبون حتى الصميم المؤرِق للحقائق في لعبها بالأكاذيبِ إلى الأقصى.

سيكذبون بأفواهٍ ذابلةٍ.

سيدَّعون أنْ لاسببَ لقولِ الحقيقة؛

لاسببَ للكذب، أيضاً:

إنه غدْرُ اللسان، مُذْ لم يكن اللسانُ إلاَّ غدرَ المعقول بالمعقول.

أقتلتُهم، من قبلُ؟

أقتلتموهم، من قبل؟

عظامٌ مراجلُ تغلي فيها زبدةُ القيامةِ عظامُهم، وموتُهم يتعثر بالموتى في استعراضه وَشيَ الصلصال على جرار الأرواح. لايرتديهم عدمٌ. لا يرتديهم وجودٌ. هُم، أنفُسُهم، عدمٌ فضفاضٌ لايُرتدى، ووجودٌ ضيِّقٌ لايُرتدى. مرتبكون. أوداجٌ منتفخةٌ في نكاح صامت. نُفَاخاتٌ في النَّقاءِ الحُثالةِ. أقتلتموهم قبل النهايةِ المحترسَّةِ أنْ يبدِّدَها رعاعُ النهاية؟ أقتلتُهم قبل نداءِ الغبار الورَّاق؟. لازوَرْدٌ مبغىً على أفق البحر المسوَّى كالمنضدة بمسْحاج المغيب، وهُمْ في اللازورد كإذعانِ السُّكَّريِّ المُعذَّب؛ أكواخُهم في منعطفات اللازوردِ الرملِ، على ثدييِّ البحر المُظلَّليْن بأشرعة المفقود. زرائبُهم حول سُوْر الفردوس تخرج منها الملائكُ على عَجَلٍ، وتعود على عَجَلٍ، كأنها تسمع الأبديةَ المثقابَ توسِّعُ في الأرواحِ الصَّلدةِ خروماً لعبورِ الدُّخان الأزليِّ. ليلٌ ساذجٌ ليلُهم. نهارٌ مغفَّلٌ نهارُهم. عناقيدُ حليبٍ تتدلَّى من عرائش اليقظة، التي تنكَّروا فيها للنقاء المدبوغ طويلاً بأملاح الحجر. اقْتلوهم الآن. سأقتلُهم الآنَ. لافديةٌ تُرتجى. لايُقتلون. سيأخذونكم. سيأخذوني معكم في كل ماءٍ يطفو عليه دَقَلٌ مكسورٌ:

إنه الجفاءُ بين النهاية وأُمِّها.

مرحى أيها الأملُ المهدِّدُ، ذو الأضراس كما للكرز السَّليط : سنعلِّمُهم كيف يُقتلون؛ كيف يستميحون قَتْلَهُمُ المعذرةَ، نبلاءَ يوزِّعون تواريخَهم ماءً بالقواديس على جداول الخالد الأربعة؛ يوزِّعون، على المعلوم المُتبجِّح رغوةً في القُدور، مَرَقاً مُنكَّهاً بالإجاص المسلوق مع ذيل الثور.

مرحى أيها الدَّحْضُ المائيُّ، المُنْصِفُ في المنطق ضاغطاً بأضراسه على الغيبوبة الصلبة كتَرقوَة الحمار: سنعلِّمهم سطوَ الظلال على المرئيِّ، وسنتبعهم، في الموتِ، بالنجوم الرشوةِ، إلى سماءٍ في كَنَف الأرض تتولَّى رزْق الصِّور الشريدة؛ إلى العراء السِّفاح - أب الجمر في مواقد الكونِ؛ إليهم - همُ النهيقُ كما لم يُسْمَعْ قبْلاً. هُمْ هُلْبُ خنزيرِ الوحشِ منتصباً إنْ حُوصر. ميَّالون، بطبع البرق الخسِّيس، إلى وصفِ السنوات الرعدية في تقاويم الجَبْر - مزارِ المُنشديْنَ للأجرام جنوبَ الكلماتِ وشمالَها، كأنهم أثَّثوا لأسرارهم الصغرى ثُكناتٍ في أخبار القوافل، وأرشَدوا الوقتَ، المُقْتَرِضَ فصاحةَ الرَّقْم، إلى أسرارهم الكبرى - دَيْنِ الرقم.

عدْلُ اللذائذ. هكذا العَدْلُ يُحْتذى لذائذَ أهوالاً بما قسَّموه من الجَمَال المُشاكس على خنادقهم، وأباحوا القياسَ المُعَسَّلَ للأبعاد. قلوبُهم مؤجَّلةٌ. لأقدارهم ملاطفاتُ الخواتم للخواتم. لاينزلون عن الأدراجِ الرزينة في أسواق الجيْر. قلوبٌ جيْرٌ قلوبُهم للدِّهان بياضاً يؤنِّقُ أزقَّةَ الكلمات. جيْرُهم لن يتقشَّر عن الأعمدة إنْ

دُهِنتْ في الخميس المسكون. حيواتُهم مرحَّلةٌ من نشيد البندق إلى نشيد البَلاذرِ. يالاعْتدالِ الآفَّة. يالكُسارةِ الزجاج في الأفواه: لقد ادَّهنوا بزيت القُنْدس على مشارف المُلْغز، ونثروا الحَسَكَ الحديدَ في المجاهل يعيقون الرَّحالةَ. هم رَشَقُ الفتْك؛ الخمورُ مُهرقةً في أقبيةِ الغيم، وظلالهم هيَ ذاتُها: عجرفةُ القُنَّبيطِ أُتْخِمَ رِواءً من سواقي المُنحَدراتِ. ا

ثْ

بَ

ع

و

هُم

اتبعوهم إلى اللذائذِ ـ تُدِيِّ الذئبةِ الستة. اتبعوهم في سقوطهم، تباعاً، من أيدي الحرائق مغسوليْنَ كالطُّرُقِ يعبرها الملوكُ. اتبعوهم ملوكاً مذعوريْن أضاعوا الطُّرُقَ للخروج من ممالكهم. كلٌّ ذعرٍ ألَقٌ. وَبِّخوا الألقَ في كل شيءٍ. ازْدَروهم بأبيهم الألقِ المُزْدرى. عاتيةً أُعيدوا إليهم مجادلات الأبراج بلا تكلُّفٍ. ويْحَ ماكانوا. ويْحَ مايكونون في الأهوال المُحْتَشمةِ. قليلاً،

قليلاً،

ابتعِدوا عنهم، كأنكم الحِرْزُ المأمولُ لليراعاتِ. أبْعدوا عنهم أطوارَ الشِّبْثِ والباقلاءِ: أهِيَ المعاتباتُ الرقيقةُ بين النار والريح وثَقَّتْهم شجوناً في السجلِّ الناطقِ؟ عذابٌ هِبةٌ كالشكِّ يروِّح عنهم قيظَ

الإنسانِ. عذابٌ مَرَحٌ: أغدِقوا عليهم هباتِ الشكِّ رقيقةً كمعاتباتٍ بين النارِ والريحِ. بهذا، أو ذاك:

بشراعٍ واحدٍ،
لايقينٍ واحدٍ؛

بالمُبْتَذَلِ صامداً
كجرحٍ نبيلٍ؛

بالمعاني تمضغُ المعاني،
كي يسترسلُ اللوزُ في شجارهِ؛

بوَرْدِهم يُوصَفُ، إنْ وُصِفَ،
في غيبوبة الوردِ؛

بالقِحَةِ الزبدةِ؛

بالمُعاد كلِّه ـ النسيانِ
مُعاداً حِفْظاً في شهواتهِ؛

بالبراعةِ تُلْتَمسُ في غضبٍ.

بهذا كلِّه، أو بذاكَ،
يكتمل الماجنُ عِناقاً.

بهذا، أو بذاك،
يُسْتدرَجون إلى الضياء المُثْبَط مطهوًّا
بالفلفل الحرِّيف لعَشاء المصارع.

هُمْ هذا، أو ذاك:
مغالطةُ الشجرة للشجرةِ؛

نظرةُ المقامر إلى خصمهِ؛

سَقْسَقةُ العَظْم المكسور،
ونَدَبةُ الغَسَق نافرةً في الجباه؛

النِّفاسُ النجميُّ
مكفولاً بكياسة الطلَّسم؛

الصُّداعُ الشقيقةُ ـ أملُ
النِّصفِ بالنجاة من الحنينِ.

واضحونَ:
يكسرون المَغاسل في خروجهم.
يكسرون جماجمَ الآباءِ بعظامِ الأبناءِ.

فوضى من صفائحَ متراكبةٍ.
قُصاصاتٌ.
خدوشٌ في البياضِ النائم بعد عراكِ الموتى.
رسومٌ على الحياة تُجْبى خيالاً؛
رسومٌ تُجْبى على الموت.
عقودٌ كأكتافٍ موْحِلةٍ.

لن تُحاصَرَ الحدائقُ بأديان الماءِ. أُقْسم لهم: لن تُحاصَر الحدائقُ بأديان التراب الأرمل: لقد حضروا بجيوب فارغة، وانصرفوا بجيوب ملآى بالآلهة. وأنا لن أستميح البقاءَ عُذْراً في سَحْلِه بيديَّ المائعتين إلى المِعْجن، مُذِ اعتصرهم البقاءُ عَرَقاً على صَفَنِ القُدسيِّ بأيدٍ حَبيسَةٍ في الندى.

أُقْسِمُ بالرقم الجِلْف، وشقيقه النار، وإخفاق الناريِّ؛ بنُسْك البرسيم، وأبيه الظلِّ البهلول في سهوب الأرض الوسطى، أنني سأجزُّ، مثلهم، أهدابَ الخيل الميتة، من ضجري.

أُقسم بالضجرِ خالقِ النُّحاة الأقوى في تدبير اللسان صحيحاً إذا خاطب العدمُ الوَجودَ، أو صوَّبَ الذهبُ نجوى الذهب.

أُقْسِم بالمائيِّ ـ وصيَّةِ الزبد للسُّفنِ؛
أُقسم بالزَّبد ذاتهِ عقلِ الرملِ.
أُقسم بزيتِ كبد الحوتِ؛
بالقَزَعِ الحجريِّ فوق سهول «حوران»، أن لاتعديلَ على الليل بعد البرهةِ هَذه: سيبقى الليلُ مُمتناً لخيالهِ كقَلْب؛ سيبقى قَلْباً لاتعديلَ لنبضهِ، يذوِّبُ في الأقداح ظلاماً تلوَ ظلام من سُكَّرِ صِوَرٍ، أو خَلِّ صِورٍ، أو ملحٍ من جفاف البِرَك في الفردوس.

أُقسِم بالإجاصة المشطورة نصفين؛
بالقبوِ المشتمل على أمتعةِ الله المُهْمَلَةِ؛
بالباردِ الشريكِ؛
بإصغاء اللسانِ إلى الكلماتِ؛
بالكلماتِ مرتعدةً من مِحْنتها بلا نهايةٍ.

أُقسِم بالنهاية الصَّبورة؛
بالعَتَلةِ المرجانِ ترفعُ البحرَ إلى شِباكِ التيهِ؛
باللِّقاءِ المُنْتَظر بين الغدِ وحصارهِ.

أُقسم بالشوقِ متقطِّعاً؛
بالعِناقِ متقطِّعاً؛
بالأَنفاسِ متقطِّعةً؛
بالقُبَلِ تتَداركُ الحقائقَ مرتدَّةً فتوبِّخها؛
بالكُشْتبانِ في البِنْصرِ؛
بالماوردِ باكياً؛
بالمزهرية تزداد نحولاً من نكاحِ الماءِ؛
بالماءِ الجاهلِ؛

بالأثمانِ لاتُستوفى إلاَّ أواخرَ السنينِ.

أقسمُ بالقَسَم الحانث أن يبقى الليلُ بلا تعديل على فطرتِهِ لايَستأْذن أحداً، كالشوقَ لايستأَذنُ أحداً، كالغبار لايستأْذَنُ. وهُمْ لايَستأذنون، أولاء، الذين يُضْمِرُ الحديدُ لهم مايُضْمره الخزفُ. لايَستأذِنون. لايُستأْذَنون: لِنْنٌ يوحِّد شؤونهم بمراهِمَ من غُددِ أذيالِ البط.

فلْنقْتلهم معاً.

فلْيقتلونا، أولاءِ ـ بقايا الأجنحةِ الغمديةِ في أعشاش السنونو. ارتضيْتُ أن أُذيقَهم ماأُذاقُ. همو الأممُ الشائعةُ، كشتائمَ شائعة، ارتضتْ أن تُذيقَني تَعبَ المُمْكن. فلأُقسِّمْ عليهم المُمكنَ الدائريَّ، الفاجرَ، المُهذَّبَ، ممسكاً بخِناق النارِ، في الفجرِ المُقتَرِضِ من سَلَفهِ الفجرِ ذهولَ الإنسان.

فلأُقسِّمْ عليهم المحاريثَ الهجينةَ، وبزورَ السَّلْجم، والوقتَ ضِماداً يلتصق بالجروح، على عتبةِ العصرِ الخامس للأجناسِ المُخْتَزَلة.

فلأُقسِّم العَدْلَ عليهم في لِفافات التبغِ؛ في الأرقامِ مهشَّمَةً بمطارقِ الحِسابِ الشاعر.

فلأُقسِّم عليهم تراباً راضياً عن نَفْسهِ،
ومياهاً منطويةً على نَفْسِها.

فلأُقسِّم عليهم ثيابَ الحلوانيِّين، وقد انقسموا على مذاهبِ السُّكَّرِ، يتراشقون بالأخطاءِ المتكافئةِ للقِرفةِ في تصنيفِ الحَلوى.

فلأُقسِّم عليهم عجزَ الكستنة عن ادِّعاءِ النبوَّة؛ والنبوَّةَ فلأقسِّمها قلائدَ بلا انسجام، مشوَّشةَ اللَّمْع على صدور السَّراري، كأنني الطليقُ لايُعِدُّ كافيًا أيَّ تعديلٍ على وجهةِ الموت، وأيَّ تعديلٍ مثلَهُ على تأجيلِ القيامة.

فلأقسِّم عليهم النباتَ البوصَليَّ، والمُصادراتِ الأنيقةَ تُجيزُها سلطةُ الطين.

فلأقسِّم عليهم العبثَ سراويلَ واسعةً،
والفكاهاتِ بُندقاً تتكسَّر في قضمهِ الأضراسُ.

فلأقسِّم عليهم عارَ الحبرِ؛
حيادَهُ؛
سُعالَهُ؛
مقاولاتهِ؛
مزادَهُ؛
رياضتَهُ، وانتهاكاتهِ.
فلأُقسِّم عليهم الحِبْرَ القوَّادَ،
الصالحَ،
الراعي للأزقَّة يقودها من سفح الخيال إلى زرائب الإنسان؛ الحبرَ المتبرِّعَ للقطاءِ بأحذيةِ الأمومةِ، وبمعاولَ يصحبونها إلى الحانات.
فلأقسِّم عليهم الحِبرَ المتردِّدَ،
المُهرِّبَ،
اللاعبَ بأناملَ من دمٍ على وترِ الكلماتِ.

فلأقسِّم عليهم المؤسفَ في الحبر، وغيرَ المؤسفِ فيه.
فلأقسِّم عليهم مأثَرةَ الحِبْرالزرقَاء.
فلأقسِّم عليهم الحبرَ الندمَ مُكْرَهاً أن يكونَ ندماً؛ الحبرَ المُنكسرَ القلب، ذاك الذي يمضغُ الخلودُ جُبنَتَهُ السوداء.

فلأقسِّمهُم، هُمْ، على الضراوةِ الأليفةِ ازدراءً من الزبدِ للبحرِ؛
قَهْراً للشَّكلِ؛
عاراً من اللَّمسِ يأخذُ مالايريد.

سأغيظُهم بالذي يتغاضى به الرمادُ عن سرقاتِ بَنِيْهِ؛ بعدوى القرائنِ. سأغيظُهم بالطحين في الأكياس المُمزَّقة على ظهور البغالِ؛ بالصيادِيْنَ يأكلون أسماكَهم في الفجر نيِّئةً. باعتدالٍ سأغيظُ قواريرَ الخلِّ، والزيتِ، على موائدهم، وكذلك الملحَ حالِماً.

سأغيظُ حدائقَهم المسوَّرةَ بحجر الرَّخْفة.
سأغيظُ الشجرَ كلَّهُ،
والنباتَ الجَنْبَةَ مُرتَّباً فصائلَ كالثرثرةِ.
سأغيظُ القيامةَ ذاتَها ببوَّاباتٍ لن تُفتحَ.
سأغيظُهم لايعثرون على قيامةٍ؛ لايفتقدون قيامةً.
سأغيظُ الجُسُورَ بهم يعبرون تحتَ الجُسورِ.
سأغيظُ العادلَ،
والذهبيَّ،
والمَداخِنَ،
والمكابِحَ،
والأنفاسَ.
سأغيظُ الفكاهةَ بغدْرٍ مالايُضْحِكُ،
والآلهةَ بِحَيْرَةٍ لاتتَّسع إلاَّ للهرب.

سأغيظُ نَفْسي كي أنجو منِّي بالدَّهاءِ، الذي يبتكرُ جُرْحاً يُحْتذى،
قَلْباً يُحتذى،
كُسَارةً تُحتذى،
عضلاً مُمزَّقاً يُحتذى،
تهتُّكاً يُحتذى،

مُنْعِشاً دمويًّا يُحتذى،
خصيتين يُحتذى بهما.

مُكْلفٌ أن أُحدِّثَ عنهم ماأُحدِّثُ عني، جالساً هنا، قرب البراميل المطوَّقةِ بأجناس البازلتِ، أُرِي الهباءَ المُشرَّعَ كعْكَ الذُّرة بين أضلاعي. منعشةٌ أكتافُ النساءِ؛ مُنعِشٌ لحمُ عاناتهنَّ. حلوٌ مايُرى نصفُه وراءَ بابٍ لم يُوصَد. حلوٌ نصفُ مايُرى من شروخِ البابِ. والرحيلُ حلوٌ كالمُخْتَلَس نظرةً إلى العاري. سأحدِّثُ عنهم، بالذي أحدِّث عني، ضامناً الأكَلافَ المُرَّةَ، جالساً هنا، قرب شجرة البَهْشيَّةِ نقاهةً كنقاهةِ الخفيِّ المتمرِّدِ بلا حِرْصٍ على أدبِ الدَّاءِ.

لن يعودوا كي أُحدِّثَ عن عودتي.

لن يتركوا وراءهم نسياناً يُرتدى، كي أترك ورائي نسياناً يُخْلَعُ قبل أن تستلقي الخاتمةُ على سريرها ـ سرير النَّهارِ المركوم جُلوداً لم تُدْبَغْ.

لن أتقدَّمهم مُذْ هُمْ يتأخَّرون، أبداً، عمَّن يتقدَّمهمَ.

لن يتقدَّموني مُذْ صُعِقْتُ في صميمِ السفرجلِ بالمعابثاتِ المُرتبكةِ للحقلِ التائه:

فاكهةٌ لم تكن فاكهةً قطُّ.

حقولٌ لم تكن حقولاً.

سماءٌ لم تغتسل بَعدُ،

وولاةٌ على الشكلِ أفرغوا الخزائنَ من صُورِ المفقود.

أأحسبُهم، بمغازلاتٍ في الغَرَقِ، أنهم قسَّموا، مثلي، قلبَ البقرةِ أربعاً، وقلبَ الإوزةِ نصفين، على مفرقِ المعابر إلى «كولونْ»؟. هُمْ قسَّموا، مثلي، الزَّاجَ المؤدِّب، في رواق الخواصِّ، مجازاً على حقائق المعدنيِّ، كأنهم يختلسون السمعَ، من الضياءِ المتعاكس، على أصوات الدَّلاَّليْنَ مستعرضةً متاعاً من غبار الكونِ، وعلى كدْحِ الفاكهانيِّينَ يرتِّبون، في صناديقهم إلى الأسواقِ، غبارَ الناموس.

حساءٌ من أضلاع السِّلْقِ حامضاً على موائدهِم الرملية.
خبزٌ مُنكَّهٌ بالشُّونَيز،
وماءٌ من ينابيع «كُوماجينا»،
وهُمْ، جلوسًا، تتبادل التواريخُ رِشىً كثيرةً تحت معاطفهِم الرملية.

لن أحسبَهم أرواحاً دنانيرَ مطمئنَّةً في أسواق الحرير المفسِّرِ، يقسِّمون مثلي طحالَ التَّيسِ ستًّا على مفارق الأرض إلى «ثِيْبهْ».

دافئةٌ هزائمهم كشتائمِ العاشق. سطوُهُم دافئٌ. مجدُهم صعبٌ أن يُرْضى. نارُهم متبجِّحةٌ، ورمادُهم معتوهٌ. يُسْتَحضرون بتصاميم الماء، ومجازفاتِ العالي. لن أحسبَهم تصاميمَ. لن أحسبَهم مجازفاتٍ: عالٍ يُرْكَلُ، وماءٌ يُسْتَرَقُّ نشيداً.

لَكَمُنْشِد سأقلِّد الوقتَ الملتوتَ في نُثَارةِ الجُبْنةِ، والفطائرَ مُحلاَّةً ببروق الشمالَ. أراهم، أولاءِ، شذرات من صراخ المُبتهج، أو شكائمَ نارٍ في أفواهِ الأفراسِ، ولهم أقحافٌ بتعاريقَ مما للسُّحبِ على حدود «كيْليْن». لأستعرضنَّهم على عجز الآنيةِ عن التقدير في الولائم. مؤاتٍ فراغُهم المطحونُ بشقاءِ الممتلئ. غيرُ مؤاتٍ بقاؤهم في الهبوبَ على الريحِ. هُمْ آنيةُ الموائدِ في الولائم منقلبةٌ بالفُتَاتِ البقايا. هُمْ.

لَكَمُنشدٍ يغسلُ الجسَد الأكملَ شهوةً بلسانه، سأبادلهم كَبْحَ الفضة بالضَّررِ العاقل، وفياً للشاسع المُنقبض مَللاً. غلالٌ قمريَّةٌ في كيسي: «ياآبائي ـ آباءَ بطولةٍ ترثُها الكآبةُ، أنجَزوا ضوابطَ اللانهائيِّ بإشاراتِ الحيوانِ». لاأبٌ لأحدٍ. لاوريثَ لأبٍ. مَنْ عبروا «قونيةْ» إلى «عَدْنٍ» صافحوا البقاءَ بأيدٍ عظامٍ. صافِحوهم إنْ شئتم، بأيدٍ عظامٍ؛ بالوميضِ المُعَنِّفِ؛ بالأعرافِ يجريً بها الفاتنُ المتهوِّرُ. صافِحوا ماشئتم، فلَكُم دعاءُ القوسِ، وثباتُ الظلِّ السَّفَّاحِ، وللخسارة بين أيديكم إسرافُ الفوزِ في أناقته:

إنه الهديرُ لايستثني قلوبَكم؛
لايستثني قلوبَهم؛
لايستثني قلبي،
مُذْ أُحْضِرْنا كي نصفعَ الليلَ. هيهاتَ:
مَنْ يصفَعِ الليل يصفَعْ قلبَهُ أيضاً.

حجرٌ مُحْرَجٌ من دلالهِ.
هدايةٌ مُحْرَجةٌ من مثولها هدايةً:
ذلك مايتبيَّنهُ الألمُ الرشيقُ في قفزته من الأزرقِ إلى الأزرق.

وأنا أتبيَّنهُم طَمَعاً من الكرز في مذاقِ الشحم؛ طَمَعاً كخَفَرِ السَّرمديِّ ذي الطَّلْع المتواني على أعذاقِ النخلِ. أمَنشدون هُمْ، أمْ صريرُ العَتَلةِ الكبرى ترفعُ العريقَ كلَّه من رمادِ العريقِ في ألم المُنْشِدِ؟

فلْنجرِّدِ الحياةَ من مئزرِ الطاهي،
ومملحته،
وعجينِ فطائرهِ.
فلْنجرِّدِ الصباحَ من غضب الحمَّاماتِ،
وغضبِ الخبزِ،
وغضبِ الزبدةِ،
وغضبِ الشاي المُرتشي،
وغضبِ لفافاتِ التبغ المنتظرةِ شفاعةَ الشُّعلة.
فلْنجرِّدِ الهواءَ المغتصِبَ من أرقامهِ الخمسةِ،
وثعبانهِ النورانيِّ.
فلْنجرِّدِ الرملَ من ريْبةِ السُّفن.
فلنجرِّدِ السماءَ من أعشابها،
ومن وَبرها العالق بحوافر الغيم.
فلنجرِّدِ العاشقيْنَ من حِيلةِ الحدائق،

ومنطقِ الحدائق،
ونثرِ الحَدائق،
وعِظَاتِها الرَمادِيَّة.
فلْنجرِّدِ الماءَ من أملِ الغَرَقِ؛
من فتوَّتِهِ الثانيةِ؛
من شكِه؛
من آلتِهِ الصُّلبةِ كتعريفٍ.

فلْنجرِّدِ الكمالَ الذابلَ من لوعةِ أخواتِهِ،
وشحوبه،
وظنونهِ الكلبةِ،
ومحبرتِهِ،
وعارِهِ ـ عارِ البُنِّ.
فلنجرِّدِ الحرائقَ من خلاصِ الشكلِ،
وحاضناتِ الشكلِ،
والرؤى الحليبِ ملتمعةً على شفاهِ المرتدِّيْنَ عن
الموت.
فلنجرِّدْهم، أولاءِ، ممَّا يُرثى له وممَّا لايُرثى له.
فلنجرِّدهم من اقتدارهم عَزْلَ الموتى من مناصبِ الموت.
فلنجرِّدهم من تبعيَّة المكانِ للغضبِ،

ومن آبائهم يفرِّغون أحمالَ السُّفنِ في موانئِ المنسيِّ.

يالَهم. يالإرثهم - إرثِ الألمِ الجديرِ بالثقةِ على التخومِ كلِّها، من النقاءِ في زفيرِ المومسِ إلى النفوسِ في المُخْتلى ترفو مِزَقَ المكانِ إلى مِزَقِ اللَّحمِ خُلْسةً.

شهودُهم هنا يتحسَّسون أقدامَهم المقطوعةَ كي يشهدوا للخيرِ مرتعشاً كبظر. وهم، هنا، مفوَّضون من الفُرُوج كلِّها أن يتحسَّسوا الخُصى المقطوعةَ كي تشهد الخُصى للخيرِ مرتعشاً كبُلبلٍ في السِّفادِ. مساوماتُ شهودهم تتداعى في سُرادقِ العوالم. تتداعى لِدُعاءِ الماكرِ فيهم سماؤهمُ الماكرةُ: «أعيدونا إلى مَنبتِ أزهارنا الجَرَسيَّةِ بأْساً شاغراً، أو يأساً كيأسِ النَّرْدِ». علامَ يختزلونَ الساحرَ ظمأً بلا فم؛ بلا لسان؛ بلا شفتينِ؟. قد استعبدوا عبوديةً خلاصاً. أرَّخوا الشَّظايا، ووقارَ الشظايا. ابتعَدوا، واقتربوا، في الهلاكِ المرتَّبِ كالجماعِ شهيقاً من رئةِ الآدميِّ، وزفيراً من فم اللهِ: «أعيدونا إلى مَنبتِ أزهارنا العنقوديةِ، كي نزرِّرَ قميصَ العراءِ على صدورنا العَراءِ». أهذا صوتُنا أمْ صوتُهم؟. لاحسْمَ: عارٌ كَلَهْفةٍ؛ عارٌ كتحيةِ الصباحِ، وإهانةٌ كقُبْلةٍ بعد الفجر: «زرِّرْ قميصي، أيها الأملُ، بأناملك - الوداع. زرِّري، أيتها اليابسةُ، قميصَ البحرِ على المناراتِ المرتجفةِ». لاحسْمَ: هُم يتكلمون بأصواتٍ مُقتبَسةٍ من فِطْنةِ القَطْرةِ في سقوطها عن ورقةِ الدَّلبوثِ. ونكلمهم بأصواتِ الحروبِ الراكدةِ؛ بالأعراسِ

البطالةِ؛ بنعاس الجبل. لسانٌ واحدٌ ـ لسانٌ زَغَبٌ يزرِّرُ سُترةَ الكلمات على فجرهم المَتشدِّقَ. فلْيصعدوا الصِّقالاتِ إلى الطاهر متلعثماً في الأشعار تُنْشَدُ متلعثمةً. «احْمِهم، ياستبدادَ الثلثاء، من الأيام السُّوْقةِ، والأيام السَّفَلة، والأيام الرَّعاعِ». ليَذرفنَّهمُ الرمادُ من مآقيهِ الخمسة على بابِ يُسِيلُ لُعابَ السماءِ. وجودٌ فتورٌ. هم تهيَّأوا لوجودِ فتورٍ بالوقائعِ الكلبيَّةِ، والمناجزاتِ المراوحِ ـ مناجزاتِ السكونِ للسكونِ. درَّبوا، بَالتعاليم في أيام الشِّعْرى، خَطَراتِ الرقم في أيامهم الكلبيَّةِ، وأباحوا عربدةَ الزبدةِ والزيت. «لاملجأً للعَدْلِ في العدالة». هَرَبٌ كمقتلَةٍ رتيبة. مَقتلَةٌ ماءٌ. سأفرِّقهم مشافهاتٍ من أرَقِ التُّوت. سأفرِّقهم نَدَماً مثلي؛ مثلَ العِلَلِ أرَحْتُموها، أنتم، من شكوى العذَّاءِ الأزليِّ في متاهةِ اليقين. مُريبٌ ماأوطِّدُ نفْسي عليه من عصبيَّةِ الزِّيزِ ـ ابنِ المديح، لقيطِ حُمَّى آبَ، إذْ أفرِّقُ قلبي مداخلَ يوصدونَها بالنهارِ الإبنِ، المُسْتَأصَلِ ثدياً ثدياً من أمِّه النهارِ المُرضعةِ ذباباتٍ أيَّارَ. مُريبٌ ماتتَّخذونه، أنتم، فراغاً فوْحاً، مبتسمينَ عن أسنانٍ عليها طلاءُ المِيْنا مُضاعفاً. مُريبٌ

أنْ

لا

قلبَ

لي؛

لاحدائقَ،

لاأملَ:

مريبٌ أن لاأخاف.
مريبٌ
عبورُ
الحمام
الأَذْرَيِّ
فوق
الدخانِ
الصَّاعدِ
من
أفران
«طَرْسوس».
مريبةٌ هذه الخواتمُ تتضوَّرُ جوعاً إلى الأناملِ المبتورةِ.
مريبٌ مايكون، ومالايكون،

لكنها دورةُ النَّزوِ في الطبائع لاتُرَدُّ؛ لاتُجتزأُ محاصيلَ أقواساً صغرى... إلى آخرهِ. سأفرِّقهم كَبداً عزلاءَ، وقلباً أعزَلَ. سأفرِّق نَفْسي مشاجراتٍ في تأبين المضائق. ليتني، بإفراط، دوَّختُ الثمراتِ القَرْنيَّةَ دحْضاً قَبلَ طهوها، وأوكَلتُ المُحْتَمَلَ الفاترَ أن يفنِّدَ منطقَ الخوذةِ ملتهبةً بمديح الوارثِ: «أيها المعذورون على اقتسامهم مَلَكاتٍ يُفْتدى الغضَبُ لها بالغضبِ. ياالقُرْبُ المُضنى من لوثةِ البُعْدِ ـ أخيهِ». أنني ضاق بهم ذرعي يكَفِّرون عن الوجودِ بزفيرٍ تحت

شجرِ الكرز؛ ممعوسيْنَ كَرَزاً؛ ممسوسيْنَ بدخائلِ الكرز؛ سَقْطاً نواةَ تَمْرةٍ مَقضومٌ نصفُها في راحةِ الخالد. «لاتثقْ بالمَداخنِ، أيها الحَطَبُ. لاتثقْ بالأليفِ، أيها المعتدلُ يقيناً. لاتثقْ أيها الحِذاءُ بالقَدَم». هاهي ذي ـ انظروا ـ التروسُ الآبقةُ تُرْفعُ، في ثقلٍ، على ضفَّةِ الماهيَّةِ مهتاجةً كزُنابةِ العقرب. تروسٌ تردُّ المكانَ السَّهمَ إلى نَحْرِه. تروسٌ من جراءةِ البصلِ، أو من مُزاحِ الصيَّاديْنَ يستدرجون الأسماكَ إلى شصوصهم في كثيبِ الرِّمال.

لاتَرابُطَ.

بحرُ آرالَ منقبضٌ من صَقْرِ البازْدارِ.

مَلَكاتٌ حوافرُ. هيهات:

تلك روحُ الجَسُورِ متواريةٌ كي تُعفى من دَيْنِ الجسد.

ألمٌ دخيلٌ.

لوعةٌ دخيلةٌ.

لذيذٌ دخيلٌ.

قُبَلٌ دخيلةٌ يتذوَّقها اللسانُ، لاالشفاه.

موجعةٌ، أيتها الموجِعاتُ بجلالِ اللَّحْمِ فيكنَّ نساءً موجعاتٍ، هذه العافيةُ؛

هذا الجلالُ الفادحُ.

موجعٌ إصغاءُ السهلِ إلى حُملانٍ بصوفٍ من رنينِ الأجراسِ، وإلى نصرٍ يتراجع بطُهاةِ ألويتهِ، وطبَّاليْها، إلى الجسر.

موجِعٌ ذَهَبٌ لم يُسْتَشَرْ؛

فضَّةٌ لم تُسْتَشَرْ؛

كتابٌ أَفْرَطَ في التَّسليم بذنبِ غلافه.

موجعٌ مايكونُ، ومالايكون:

اعثروا عليَّ في الموجِعِ، مُذْ عثرتُ عليكم في المواجِعِ رسوماً بتلاوينَ من قلقِ الأرجوانِ. «أيها البدْءُ الخَليُّ، الأليفُ. ياالحصاةُ الفَذَّةُ». ماالمأمولُ إن نذرتموني أحيا في الصَّدْعِ الرَّاسخِ، بهذا العقل ليديَّ تهشِّمانِ التصاويرَ كلَّها نَسْخاً للبعثِ عَلى اللوحِ المطحونِ؟: «تنفَّسي عميقاً، من كبدي، يافتاةُ

تنفَّسي عميقاً، من رئتيَّ، يامشيئةً تنهض على العظام.

تنفَّسْ عميقاً، أيها الخلودُ، من عينيَّ المعصوبتيْن، ريثما، بلمسةٍ أخيرةٍ ـ لمسة من نسيم ضالع في مجونِ التَّنوب، تكتملُ الجَحيمُ.

تنفَّسْ، أيهاالبَقاءُ، عَميقاً من أَثَري الشَّبيهِ بزلَّة اللسان». ياالمُوجِع ـ فتاتي ـ نَقْرُ الأبوَّةِ ببَنَانةِ الليلِ على أقداحٍ لم تُشْرَبْ، مُذْ خرجوا ـ أولاءِ ـ ببدعة الأصلِ إلى رياضِ الحرائقِ. لاأصلَ:

غدْرٌ يُستعادُ أَمَلاً في الغَدْرِ بلا نهاية.

تستذكرونها، فتاتي، زلَّةً من لسانِ الهواءِ، كلَّما وهبتم قلوبَكم نفَسَ العزلة الرقيقةِ ـ عزلةِ اللانهائيِّ. استذكِروا نساءَكم، أنتم، مثلهم ـ أولاءِ الصيادينَ في هواءٍ عَكِر، يظلِّلون عيونَهم كي يروا الزائلَ الطَّوْفَ ناجياً في السيلِ. تعقَّبوهم، حانقينَ، بأسنان مُطبقةٍ على عيدانِ الشِّمارِ، جراحاً تحذو حذْوَ القُبَلِ الجراحِ، أيها الأوراقُ الغُفْلُ في الكتابِ المُختزَلِ عن مجونِ الزئبق.

لافتاةَ لي تستذكرونَها. لانساءَ لكم تستذكرونهنَّ، صاعدينَ المراكبَ الشبحيَّةَ في المضائقِ يرفعُ الغرقى إليها، بحبالِ لحم، صناديقَ أسلافهم. لاحانات، بَعْدُ، ترميها فتياتُ الأزهار القصيراتُ بحفنةٍ من ظلالهنَّ المُعطَّرةِ. لامسالكَ في الهواءِ للسُّمانى فوق «هوليسَ» ـ أرضِ القِدَم المكتملِ إطراءً كفُستقِ تموز. سأكسر الدَّامجَانةَ، هذه، بيسرايَ، على فخذ أمِّكم الأولى منتصبةً بأضلاع أحافيرَ، يتناثرُ غبارُها إذْ تقرع بيدها الحجرية بوَّابةَ الحِصن في الهاوية. فخذُها ـ يالَهُ ـ الرَّمقُ قيدَ الحياةِ. فخذُها ـ يالَهُ ـ الرَّمقُ قيْدَ الموت. أَرَقُهَا ـ يالَهُ ـ سعيداً بنجاته من النوم. هَبُوني أُمَّكم الأولى، السيدةَ المعتذرةَ، قدْرَ اللباقة الجارحة، عن بقاَئكم نِفاسَ بقاءٍ. هَبُونيْها أُعِدْها إليكم أقداحاً أكسُرها بيمناي على فخذي. فلْيَهَبني، أولاءِ، أُمَّهم، مثلكم، أُعِدْها إليهم شتائمَ مبتكرةً كزئيرٍ في المخدعِ، آنَ تلتهم الأنثى مُرْشِدَتها الأنثى. هيه. لاأصلَ:

غَدْرٌ صَفْحٌ بلا أملٍ في تسويةٍ إلاَّ مع اللانهايةِ غَدْراً بلا نهاية.

سأكسر دامجَانةَ الأفلاكِ النبيذِ، هذه، والأقداحَ الأكوانَ على صدري، وداعاً لَكم، أيها الزيتُ المشتعلُ على حوافِّ الأشعار؛ وداعاً لهم، أولاءِ السُّكَّرُ النّزقُ على لسانِ الخيانةِ. أنتم، هُمْ، معاً، الروحُ ضيِّقةً على هيكلِ القتيل.

سأرجع من هنا؛ من غَبْرةٍ على أهداب الليل، إلى القوافل تُلقي بأحمالها لصْقَ السُّورِ الأزليِّ: «سُعارُ خردلٍ في مطابخ الملوك. أشعارُ طُهاةٍ مُخِلَّةٌ بشرائع الهوى».

سأرجع من هنا؛ من ظلٍّ نسيه أبي على ماءِ «الخابور»، يترقرقُ ملتصقاً بظلالِ آبائه الملتصقة بأغصان الغَرَب. لستُ موعوداً بثيرانِ «داكوتا» لأَحمالي، أو بثيرانِ «التيبت»: تبغٌ في سلالي. مناظراتٌ. قصفٌ نحاسٌ على مشارفِ الذهب.

سأرجع من هنا؛ من سطورِ الكتاب مبعثرةً على سهول «نُونْغْ كايْ»، بأشباهي التماثيلِ على أكتافها جروحُ الحِممِ الأولى سائلةً كخيالِ البزور.

سأرجع موعوداً بما لم تقدرِ الأرضُ على تدبيرِهِ، مرتدياً الثوبَ ذاتَهُ، المتآكلَ الحواشي ـ ثوبَ السماءِ، وأنا أصغي إلى هَذْرِ كلِّ ثوبٍ لم يرتدِهِ أحدٌ مرتين.

«مامِنْ كِفايةٍ، قطُّ. مامنْ كفايةٍ». أيَّدتُ التعبَ طويلاً في الخروج على أبيهِ التعبِ. أيَّدتُ كلَّ قلبٍ بجرحي، لابقلبي. «ياالقلوبُ المكانسُ تبعثرُ خطواتِ النِّساءِ المُلتَقَطةَ حلوىً سائغةً تحت اللسانِ». أأرجعُ؟ من أينَ؟: مغيبُ أحدٌ الأحَديْنِ يُرمى حجراً على غسقِ البحرِ الهاربِ، واليابسةِ الهاربة.
«مامِنْ كفايةٍ، قط». زمجراتُ النوافذِ تُسْمَع في الليل الخلفيِّ، وفي النهارِ الخلفيِّ، وراء السياج المحيط بمنازلنا المحيطةِ بقلوبنا الواطئةِ كأرضٍ تتصبَّبُ الحقائقُ عَرَقاً في حَرْثِها، حيث الموتى، كغيرهم، يشربونَ الدَّهرَ في الأقحافِ الجديدة، أو يأكلونه حِمِّصاً. واطئٌ قلبيَ (أقمارٌ جَعْدةٌ فوق الصواري). اتِّفاقٌ قلبيَ. «مامِنْ كفايةٍ». سأرجع في رَجزِ الحرير إلى رَجزِ العضلةِ المُمزَّقةِ شوقاً إلى تَعَبها. ها

يدايَ

اللتانِ

خانتا

في

كلِّ

مشيئة؛

يداًيَ العينانِ الخرساوانِ لاتكلِّمان الصورَ، ولاتكلِّمهما الصورُ؛
تلكما خانتا في الحصون، حيث صَفاةٌ تضرب الجبينَ كقطيعةٍ بين
عاشقين لم يرتويا. اعذروني:
بيني وبينكم بُعْدُ الفكرةِ وَكْراً للرَّخَمةِ، وثعالبُ لاتبول.

كفايةٌ هذا: مغتالون خُبِّئوا في الجوالق ينتظرون نومَ الحصون. ائْتَمِنوا الكفايةَ المُقْتَصدةَ في جَشَعها، لكنْ لاتأتمنوا الوردَ. لايُؤْتمنُ الوردُ. لايُؤْتمنُ عَدْلُ الوردِ. لايُؤْتمنُ المؤتَمَنُ في كل وردٍ. لاتُؤْتمنُ البساتينُ. خبِّئوا رُماةَ السهامِ العادلةِ في الجوالقِ تعبرون بهم على حميرِ المُهْلِ إلى الحصونِ. اقتحِموها

بدُجاجةِ
الرَّخاءِ
تجوبُ،
على مهل،
آياتكم الكبرى.

اقتحِموها حصونَ الفجرِ ذائباً شَحْماً في مقلاةِ النهارِ الغاضب.

من «سيكلادِسَ» ـ دائرةِ الأرخبيل إلى رعودِ «أمانوسَ» وحيٌّ حامضُ الكلماتِ، يقرعُ صُفاحَ الشرق بأظلافِ اليَحْمورِ. اعذروني:

لم
أتبعْ
أحداً

إلى
وعدهِ بجرحٍ مُخْلِصٍ للأبدية.
لم
أتبعْ
جُرحاً
إلى
أحدٍ.
لم
أتبعْ
وعدَ

الأبِ ـ الأرخبيلِ «سيكلادسَ» بآلهةٍ تدهن خبزَها بالفجرِ ذائباً شحماً في مقلاةِ الفَناءِ الغاضب.

«آبائي، أيها الموعدون، أبداً، بما لايَعِدُ الغبارُ بهِ نمورَهُ. ياآباءَ نمورٍ وراءَ سياج منازلنا المحيطة بقلوبنا المحيطةِ بنمورٍ تُلْتَقَطُ حلوىً، بالألسنة، عن سُرَرِ النِّساءِ».

ياآباءَهم المذهولِيْنَ بكَدْحِ الجمرةِ، غيومٌ نِعالٌ وراء منازلنا لم يرتَدِها

القادمون على عَجَل، في انتقالهم إلى ذهولِ الجمرةِ. لاآباءَ لهم. لاآباءَ لي. كلُّنا صريرُ أسنانٍ في الفمِ المُرَوَّعِ ـ فمِ الوحيِ معتذراً عن النقصانِ المُوحى.

مشرِّعو حَوْزةِ الجوزِ وراء المنازل، بأرواح مطارقَ في حجراتٍ مهمومةِ الحجرِ، مهمومةِ الدِّهانِ، يبلِّلون بحَمضِ الزعرورِ شفراتِهم، التي ستقطع وَتَرَ المأبِضِ في ساقِ الوحشيِّ. وراءَ منازلنا الوراءُ المتمايلُ على شفيرِ القُبَل، حيثَ الفصولُ تتلعثم في الإفصاح عن شهورها، والحياةُ تتلكَّأُ، عَمْداً، في استردادِ صوابِ الحياة. اعذروني

على

إسرافِ

الأنقاضِ

في

عافيتها،

مُدلَّلةً

بشُكرِها

للخديعةِ

الأبدية.

اعذروني على نَحْتيَ السماءَ أُضحوكةً للَّيلِ بعونٍ من قِحَةِ المِسْطَرةِ، وعزْمِ المِمْحاة. لن أردَّ عني قسوةَ اليقظة في اللؤلؤِ، أو في حجارةِ الأنصابِ تُقشِّرُ المدائحَ عن ظلالها ـ ظلالِ الملوكِ تفرَّقوا هائمينَ في نقاءِ تعاريقَ بالمِنْحاتِ على تَرْقواتِ الأحياء. لايُحْتَمى بي. اعذروني:

أسمعُ الهَبابَ متذمِّراً من المداخنِ، والمُسنِّينَ يتبادلون التجريحَ على حواف أرواحِهم. وَجعٌ مايتبادله المَجروحونَ. وَجَعٌ كطحينِ الدُّخْنِ يهِينُ شَرَفَ الذُّرةِ. وَجَعٌ

واحدٌ

من

مضايقاتِ

الحنينِ

على

الحنينَ.

وَجَعٌ

نَهْدٌ

خشنٌ

ملءُ

قبضتي اللينةِ. اعذروني: حوليَ الخادماتُ يصفِّيْنَ إيمانهنَّ، قطرةً قطرةً، في مَرَقِ الهليونِ. «لاتتشكَّيْنَ، ياالمُغيَّبَاتُ، من لذائذ خيالكنَّ. لن يعود أولاءِ من جولةِ القُطربِ. لن يعودوا من أيِّما جولةٍ». اعذروني إنْ توسَّلتُ: لاتتركوهم إلى جواري، في المقاصير الزرقاء، غرقى متفانيْنَ في خدمةِ الغَرَقِ، أُوْكِلوا بالمياهِ يدرِّبونها غَرَقاً غَرَقاً على امتداحِهم غَرْقى يورِّثون الهواءَ مايُضْمرهُ البنفسجُ المُنتحِبُ. حالُهم حالُ الفُستقةِ، وبِبالهم مايخطرُ ببالِ الوثنِ المهجور. اعذروني: لاتتركوهم إلى جواري ـ جوارِ شجرة الكرز الوفيةِ للدرَّاقِ انتقاماً

من الكرزِ. ها تتقدَّمُ الأرضُ إليهم مُرْهَقةً من السماءِ المُرْهِقة، بعينين مُغْمضتين عن رؤوس في حِجورهم الدموية، وهم يأكلون الأرُزَّ مُفَلْفَلاً، ويُلقِّمون النِّعمةَ الكلبةَ عظاماً مَتَشُوها من نبيٍّ إلى آخر. عودوا بهم من بحر «زُونْكْها» المفقودِ إلى يابسةِ «الأفريقانِ» المفقودة. مَهْلاً: أولاءِ يحيطون بي، ثانيةً، ثُدِيًّا خشنةً لاتتجاسرُ يداي على حَفْنِها. لأُحيطنَّ بهم دَنَساً من خيالِ العِظاءةِ قبل فواتِ الموتِ، باقتدار من فوضايَ المسترخيةِ في عناق الكمالِ؛ بالمِزاج الذي لي ـ مزاج التماثيل في الظهيرةِ، ومايسند شمائلَ الغضب السَّمْح بالكلماتِ المُقترَضَةِ أدبَ الديكِ. لأُحيطنَّ بهم بنُعَرَةِ الفَتْكِ المُخْصِب؛ بنُبلاء العشبِ الأكثرِ بَلَلاً، وبالطَّنين ذاته ـ طنين الأبد في العظام. «أعِدْ إليَّ، أيها المَضيقُ الراسي في رمالِ «إيْبونَ» مشورةَ الشَّكِّ، والعَبَثَ الرَّزين كلعبةِ الهَزْرَدِ. أعِدِ الموتَ إليَّ قَبل فواته. أعِدِ الوقائعَ الحرْشفيَّةَ. أعِدْ إليَّ خلاصَ اليعسوبِ، وعضَّ المنيِّ المُحْتَشِمِ رؤوفاً أنْ لايَجْرَحَ».

جِماعٌ

رصينٌ
يُرخي
القبضةَ
اللَّينةَ
عن
سلام
الرقمِ

الحافظ
أحكامَ
البطولة
مدوَّنةً
على
قشْرِ
البندق.

ياللنَّزق الحافظِ أحكامَ البطولة مدوَّنةً في القبضة اللَّينةِ للرقْم الحافظ ـ أبِ الذَّخائرِ مبتهلاً إلى الكلماتِ صَفْرَ اليديْن؛ صَفْرَ اليقينَ، كأبيهِ الرقَم دخيلاً على وِجْدانِ البلُّور.

ياللَأملِ عالةً على أملٍ عالة.

ياللورْدِ ملتزماً بالبقاءِ ورْداً في صُلْح الحدائق:

فحمٌ في الزنابيل يصعد به الأنينُ الطاهرُ إلى مواقدِ الأعالي. هَيُّوا؛ أوقِدوني متناظِرات همجيَّةً أيها الدَّهماء، المصعوقون من جدالِ المراكب، أوْ تدارَكوا أثرَ البقاءِ بي في وثائق البابونج يستعرضُها على أحفاده راحلاً، بل يستعرض ظلاليَ المُحْتَجَزَةَ، في الخزائنِ، على الكنوز. خطأٌ مُسَلٍّ صعودُ السماء القاحلةِ أدراجَ قلبي إليَّ، على مرآىً منكم، أيها الدَّهماءُ المبتدئون أدلاَّءَ إلى الألَم المتشرِّدِ على تخوم القلوبِ كلِّها. اعذروا الحكمةَ ـ ياآباء الأملِ العالةَ ـ مرتعشةً خِزْياً. اعذروا

عطفَ الخلاءِ على الخلاءِ. اعذروا الأرضَ اليافعةَ، ذاتَ الجهاتِ الكَهْلةِ، واغفروا ظُلْمَ الفيروز، ففي المسألةِ ـ بتمامِ أقدارها ـ شيءٌ من طِباقِ الخُدعةِ والذهبِ. هيتَ

لكَ

أيها

الترابُ مُطَّلِعاً من الكمأةِ على أعذار حَمام الزَّاجلِ. عصيٌّ على الهواءِ ـ جارِكَ أن يؤوِّلَ كَبْحَ السنبلةِ هوى قَمْحِها. لالكَ. قِسْطٌ رُكامٌ. قِسْطٌ شَكٌّ، أمْ تقوى الجليد في بحر «بيْرِينْغَ» محروسةً بعجرفة المَلاك؟ تمامٌ أقدارٌ كَسَلبِ الغيوم الغيومَ؛ كعَقبةٍ من فوْح المنثور لاتُذلِّلُ؛ كاستقصاء فوْحٍ، كنَشْرٍ يصعد من منارة الغورِ؛ كفضيلةِ ثوبٍ ممزَّقٍ من عِطْفَيْهِ. ترَسَّةٌ

من

بروج

الطوالع

تحمي الجهةَ القَرْناءَ،

والبُعدَ الأقْرَنَ

في

خيالِ

الفِرَقِ

ذاتها ـ

فِرَقِ كَوْكَبةِ الجاثي.

وأنا أحتمي بحَمْدِ الإثم صبرَهُ على اللهِ لايُفْشي مايُقلقُ اللهَ. معترفاً: «واهٍ نَقدُ الشجرةِ وَرَقَتَها».

هَبوني الورقةَ، التي لي، في الشجرةِالتي لي.
هَبوني الورقةَ، التي لشجرةٍ ليست لي.
هَبوني الشجرةَ تلك، التي أتساقطُ عنها، أنا والمكانُ، هدايةً للورق المتناثرِ على فكرةِ الأرضِ، وخُذوا صبرَ الإثمِ على اللهِ لايُفْشي مايُقلقُ اللهَ:

«مُحْكَمٌ،
مُحْكَمٌ،
مُحْكَمٌ،
مُ
حْ
كَ
مٌ
نقْدُ الورقةِ شجرتَها».

أأنتحلُ ماينتحلُ الفرجارُ من هوى القوسِ الناقصِ؟ لاتَهَبوني شيئاً. لاتَهبوني إلاَّ الكَسْرَ يُصلِحُهُ الكَسْرُ، بل عودوا بي إلَى الطرقِ المفقودة جائعاً ألتهِمُ الجلودَ، التي كتبتم عليها كلماتِ البسيطِ المُعْضِل. بلا كلماتٍ ستصلون معي مشارفَ الأبعدِ تتقاذفُ منها الفراديسُ المذعورةُ قاطنيها المذعورينَ. بلا كلماتٍ. بلا صخب. بلا أقدار: مصادراتُ ماءٍ للماءِ. أكلتُها ـ جائعاً ـ الواحَ الرُّسلِ الَّتي من جلودٍ. أكلتُ، جائعاً، في الطريقِ إلى شكلٍ لايُرْتَشى، جلوداً سُلِخَتْ عن كل عضلةٍ: نهشتُ بالعافيةِ العُضَالِ لذائذَ مايُحْسَمُ بهياج في المرافئ، أولايُحْسَم. عنبٌ كتومٌ في راحتيْ يتلقَّفه، بالأنامل، مَنْ يتَّصفون بجَسَدٍ لايُذْكَرُ ـ جَسَدِ الأيقونات.

أأنتَحِلُ هَتْكَةَ المُغِيرِ؟. غيرُ مُجْدٍ دحْضُ أحوالٍ لم تجدْ، بعْدُ، محلَّها، كأنْ لاألَمَ يُقاضى؛ لايُقاضى نَهْبٌ. لايُقاضى قلبٌ. كأنْ لابطولةَ تُعْتَمَدُ. لاأنفاسَ تُعْتَمَدُ. لاقلبَ يُعْتَمَدُ. لايُعْتَمدُ صيفٌ بقبضةِ من شتاءٍ عُريانٍ. بُعْداً لي عن صباحٍ لايُقدِّمُ في ألم؛ لايؤخِّرُ فيه. دمٌ لامُبالٍ هذا، مسفوكٌ مُذْ شُرِّعَ دَمَاً. حَتْمٌ هذا قدَّرهُ الزهرُ، بل قدَّرهُ القِدَمُ المتساهلُ. مُنصِفٌ هذا الخطأُ السيدُ في وجودٍ يتسلَّلُ إلى براعتهِ من ثغرةٍ تحت خصيةِ الموتِ. بُعْداً لي عن الطارئِ المَضَاءِ ـ كفيلِ الخوف، الخدَّيْنِ كالأصلِ لايَعبأُ بشَجْبِ النرجس. حَذَرٌ قَمَريٌّ هذا ـ حَذَرُ الرمادِ متقلِّباً في منطقِ الجمرِ. إيهِ. أسمعُكَ، أنتَ، في غفلة الموتِ عن طسْتهِ المُنسكبِ: «قُبْلتي، تلك وزَّعتموها على نساءٍ كثيراتٍ.

قبَّلتموهنَّ القُبْلَةَ، التي لي، مقسَّمةً على الشفاه كلِّها ـ شفاهي الأخرى ـ الجراحِ المدينةِ للمُدى كلِّها». أأسمعُ السَّديدةَ ـ أنتِ، أم النبضةَ البذيئةَ منَ الفؤادِ البذيءِ؟. لَيذْهَبَنَّ هذا كلُّه أدراجَ فَرْجكِ، أنتِ السديدةُ أُمُّهم، الشهيةُ يتحسَّسُ الفريدُ المتردِّدُ أُرْبيَّتَيْها بلسانِ العاديِّ. مُ

خْ

ك

مٌ

نقدُ

العاديِّ

أَمَّكُمُ

المتردِّدةَ

عن

أنْ

تتذوَّقَ

صميمَ

العاديِّ.

فلا تواخذوها: هي غَفْلةٌ دَحَاها آباؤكم على سريرها المزدحم بِمن يعيرون الأبناءَ صَلَفَ الفروجِ الكثيرةِ في مهبٍّ فرْجها. بُعْداً لي عَنها. بُعْداً لي عنكم. بُعْداً لي عنهم، أولاءِ مَنْ ورَّثوكم ذَمَّ الأجرامِ مساراتها. حُرًّا؛

نَفْحَةً من مُرادِ الليلِ؛

وَلَعَ تخوم بالأوديةِ،

سأجتهدُ في استثارةِ مالايُنْتَزَعُ. ياللْمَكيْنِ فيَّ:

مُتعذِّرٌ أنْ أُدْحَضَ؛

مُتعذِّرٌ أنْ أُؤَكَّد، أيضاً، أنا الذي يُلتَمَسُ أبوَّةً للَّيلِ، أو يُنْتَحَلُ وليًّا من حَنَقِ الفطرةِ. لكنْ،

مُ
خْ
كِ
مٌ
نَقْدُ

الطيرِ ثرثراتِ الأَيْك.

عناقٌ ضَروسٌ لم يخطرْ ببالِ البجعِ. عناقٌ هنا، الآن، لم يخطرْ ببالِ السُّرعوفة. مِلْحٌ لم يخطر ببالِ الملحِ. هنا، الآنَ، مالم يخطرْ ببالِ الدم مسفوكاً مُذِ امتثلَ الدمُ لدورهِ الدمويِّ. لن تتفهَّمَ المعجزةُ هذا؛ لنَ تتفهَّم ضحكاتِ النعناع قربَ النهرَ. ضَرُوسٌ

نَقْدُ

قلبي

ماليسَ

لائقاً

منْ

نكوصِهِ

عن

خُلُقِ

القلبِ

السَّيدِ.

ياللمكيْنِ الساحرِ متقبِّلاً عزاءَ الباقلّى.

ياللمكيْنِ المتماثلِ الأقدسِ.

ياللمكينِ في ارتيابي من هذا كلِّه، الذي لم يخطرْ ببالِ الإجاص مِزًّا أوَّلَ الشِّقاقَ في دولةِ الفاكهة؛ أو ببالِ البُرقوق ناضجاً أوَّلَ الشِّقاق في أُمّةِ الفاكهةِ: «ارْمِ نَرْدَكَ، أيها التوتُ، من أجلِ الأبديَّةِ». «لكَ قوَّةَ

الثور، أيها العُنَّابُ، حالماً بقوائمَ تِسْع». ياللمكينِ في ارتيابي من هذا كلِّه، الذي لم يخطرْ ببالِ عَيْنٍ خرساءَ، أو لسانٍ أعمى. وَجَعٌ رِيْبَةٌ. سأَعِدُ نفْسي بوجعٍ من رطانةِ الحريرِ، قاس كاغتيابِ الهاربِ أميرَه الهاربَ. افتراضاً سأَعِدُ نفْسي بعَكسَ مضافاً إلى عكْسَه؛ بلوثةٍ مُربَّى على كعكةِ الوجودِ: «ارْمِ نَرْدَك، أيها المجدُ المتملِّقُ، من أجلي». هكذا،

أخيراً،

ذاتُها:

المتاهةُ

باعتدالٍ

في

الموتِ؛

باعتدالٍ في القسوةِ بعد الموتِ؛

باعتدالٍ في مناوراتِ اللهِ على السفوحِ المنكوبة. خُمْساً خُمْساً وُزِّعتِ النهايةُ الحَلُوبُ في طاسٍ من غُفرانٍ شُباطَ. بأخماسٍ أخرى، من قِوامِ الماءِ، ستُوزَّعُ النهايةُ وَثباتٍ كوثباتِ النهارِ الجندبِ إلى رحابِ الباطلِ ـ إله الباب. بأسداسِ صحونٍ، ملآى ثَمَلاً سِمْسماً غماماً، لَيُزيِّنَنَّ السِّماطُ، الذي تناثر عليه، من خبزِ الشكِّ وملحِه، مايملأُ راحةَ الجوعِ. فلا تُحْرِجوا قلبيَ

باعتدالٍ

في

القسوةِ
بعد
الموت،
كأنْ تُمَنِّنونَ الهولَ، الذي
يسوِّغه خيالي للحياة مِنْ
قسوةٍ
في
اعتدالها.
لاتُحْرِجوا الموتَ
باعتدالٍ
من
قسوةِ
الفأل
مُحْسِناً
إلى
كلِّ
قسوةٍ.
لاتُحْرِجوا الحَياةَ الرَّتَلَ الحجريَّ؛ الوِجارَ؛ الصَّوْنَ العذْبَ كغُنْجِ الخطأِ، باعتدالٍ
مِنْ
قسوةٍ

لم
يلحظْها
قلبي
متناثراً
فُتاتاً
مِنْ
خبزِ
الشكِّ،
وملْحِهِ،
قَدْرَ
حفنة
تملأُ صبرَ الإثمِ
على الله عذاباً يتقاضاهُ الآدميُّ منَ الآدميِّ في مسالخِ الله.

هكذا الأنينُ، ذاتُه، رتيباً، تهوِّلُ الدِّنانُ به على الدِّنان. لوِّحوا بالمناديلِ المسروقةِ من أسواقِ «خَابالونَ» لقلبيَ. أُحبُّها المناديلَ، تلك، مسروقةً بحَذَرِ العَذْلِ من وشايةِ الزعرور. أُحبُّ قلبي سَرقةً لَثْماً لاهوادةَ فيهِ. لاهوادَةَ في عَضِّ يأسيَ، بأسنانِ النُّورِ الذهبيةِ، أكتَافَ المرئيِّ الخمس. أراني لم أصبرْ كهذا، قبْلاً، على غدرِ كلِّ شيءٍ. لم يؤيِّدْ تَعَبٌ كما أيَّدتُ.
خسرتُ

باعتدالٍ

كنظرةٍ
لاذعةٍ
من
البحرِ
إلى
زُمَّجِ
الماءِ،
وَهَا نَحْلٌ في هاجرةِ الكلماتِ، التي أعيدها إلى غَسقِ المهجورِ.
لاريْثَ يُؤْمَلُ.

لااعتذارَ يُؤْمَلُ عن
هفوةِ اللازوردِ،
وخنوعِ الماسِ:

شراذمُ ممكناتٌ تتبعني
باعتدالٍ
في
يأسها
إلىٍ
كلِّ
معتدلٍ
في
يأسِهِ.

لكنَّ المكانَ، الذي أقفلتُ عليه بمزلاجِ نعاس، لمَّا يزلْ على زفيرهِ
من صَرَعِ الخُزامى مكاناً يُؤخذُ إلى شفيرِ المغاليقِ: متأخِّرةً
نصفَ
قُبْلة
تتبعني
الريحُ،
باعتدالها،
إلى
شفيرِ قلبيَ؛
تتبعني
الحياةُ
متأخِّرةً
نصفَ
قُبْلةٍ
باعتدالِ
قلبي
إلى
شفيرِه؛
تتبعني الأبديةُ متأخرةً نصفَ قبلةٍ.

ياللنُّصْفِ المهموم في كل شيءٍ: كونٌ يتسكَّع في أنصاف الكلمات؛ في الأَنْصافِ المُثقَلَةَ للمعاني بمراهقةِ الأُمم. لَيعتذرَنَّ إليَّ الكونُ، والمواكبُ في أرجاءِ التيهِ الأنيسِ. لَتَعتذرنَّ المَشيئةُ إليَّ، والقيامةُ، التي بلا بوَّابات؛ بلا قواربَ للعبورِ من الشكلِ إلى مقايَضاتِ الشكلِ. لتَعتذرنَّ الآلهةُ بحياءِ البقْلَةِ عمّا استلَفَتْ من خيالي لخيالها. ليعتذرنَّ النقاءُ، والأكيدُ الهَفْتُ؛ البَرَمُ بالمجدِ، والحروبُ الأرغفةُ؛ الثمانيةُ وأخواتُها؛ الكمالُ السبَّاكُ بلا فحم؛ هذا ومايكونُ، وذاكِ ومالايكون. معان عَثَرةٌ في طريقي إلى الكلماتِ. فلْتعتذرِ المعاني عن أنها العثرةُ. كلماتٌ عَثَرةٌ في طريقي إلى المعاني. فلْتعتذرِ الكلماتُ عن أنها العثرةُ. أكلُّ يوم طحالُ يوم آخر يقطرُ سِرَاً دَمَاً في طريقي إلى جَبْرِ البندقِ، وخَيَارِ الجوز؟. فلْيَعتذرِ اليومُ، الذي ابنُ كلِّ يوم، إليَّ. فلْيعتذرِ اليومُ، الذي هو حُمَّى كلِّ يوم، إلى خيالي هاذياً بالشبهَّاتِ يتطاول بها المكانُ على الوقتِ. لأنتظرنَّ الآنَ، أو أشباراً قليلةً بعد الآنِ، أن يعتذرَ الرُّسلُ إليَّ عن حماقات نزفتْها مساميَ الخالدةُ كأساطيرِ الرمَّانِ، لأني أَعدُ العَضلةَ، إذْ تُشهِّرُ بالعضلة ـ أُختِها، أنْ لن أُجاوز عن هذا؛ لن أجاوز عن اعتذار لم يمهِّدهُ الأرقُ، بَعْدُ، للصباح. فليعتذرْ إليَّ ماخذلتُه، وما لم أخذُلْهُ؛ مَنْ خذلتُهم، ومَنْ لم أخذلْهم. فليعتذرْ إليَّ الموتى المعتدلون في تأنيبِ الخساراتِ، والخساراتُ المعتدلةُ في تأنيبِ الحِبْرِ:

لقد
تكبَّدتُ
عزلَ
الأرضِ
عن
قلبي
كي
أُحْضِرَ
الله
مذعوراً
إلى
جُرحِ
الإنسَان،
وتكبَّدتُ عزلَ قلبي عن السماءِ كي أَعبُرَ بالله مذعوراً إلى المشيئة.

2008 ـ 2009
غابة سكوغوس،
مملكة السويد

# صدر للمؤلف

| | |
|---|---|
| * كل داخل سيهتف لأجلي، وكل خارج أيضاً | (شعر) |
| * هكذا أبعثر موسيسانا | (شعر) |
| * للغبار، لشمدين، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك | (شعر) |
| * الجمهرات | (شعر) |
| * الجندب الحديدي (سيرة الطفولة) | (سيرة) |
| * الكراكي | (شعر) |
| * هاتِه عالياً؛ هاتِ النَّفير على آخره (سيرة الصبا) | (سيرة) |
| * فقهاء الظلام | (رواية) |
| * بالشِّباك ذاتها؛ بالثعالب التي تقود الريح | (شعر) |
| * أرواح هندسية | (رواية) |
| * الريش | (رواية) |
| * البازيار | (شعر) |

* الأعمال الشعرية (شعر)
* معسكرات الأبد (رواية)
* طيش الياقوت (شعر)
* الفلكيون في ثلثاء الموت: عبور البشروش (رواية)
* الفلكيون في ثلثاء الموت: الكون (رواية)
* الفلكيون في ثلثاء الموت: كبد ميلاؤس (رواية)
* المجابهات؛ المواثيق الأجران؛ التصاريف، وغيرها (شعر)
* أنقاض الأزل الثاني (رواية)
* الأقراباذين (مقالات في علوم النَّظر)
* المثاقيل (شعر)
* الأختام والسديم (رواية)
* دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة) (رواية)
* كهوف هَايْذْرَاهُوْدَاهُوْس (رواية)
* المعجم (شعر)
* ثَاذْرِيْمِيْسْ (رواية)
* موتى مبتدئون (رواية)
* السلالم الرملية (رواية)
* شعب الثالثة فجراً من الخميس الثالث (شعر)
* لوعة الأليف اللاموصوف في صوت سارماك (رواية)



طووا معاطفَهم بأناة.

وضعوها جانباً على المقاعدِ الأزلية.

وضعوا قبعاتِهم جانباً.

وضعوا الرياحَ، والسهولَ، والجهاتِ جانباً.

وضعوا الكونَ جانباً على البساطِ الخَيْش، الذي تلقَّفوا عليه زيتونَهم في حصاد الألق اللاذع كخريف.

وضعوا الأقدارَ جانباً، كي يشدُّوا بأيدٍ حُرَّةٍ على الأيدي الممتدة إليهم من صدوع المعقول.

وضعوا أنفُسَهم ملبَّدةً، كخيال الجوز، جانباً،

وأفاقوا مقتولِيْن.

ISBN 2-84306-026- X

9 782843 080265